ديوان
أبي قيس صيفي بن الأسلت
الأوسي الجاهلي

دراسة • جمع • تحقيق

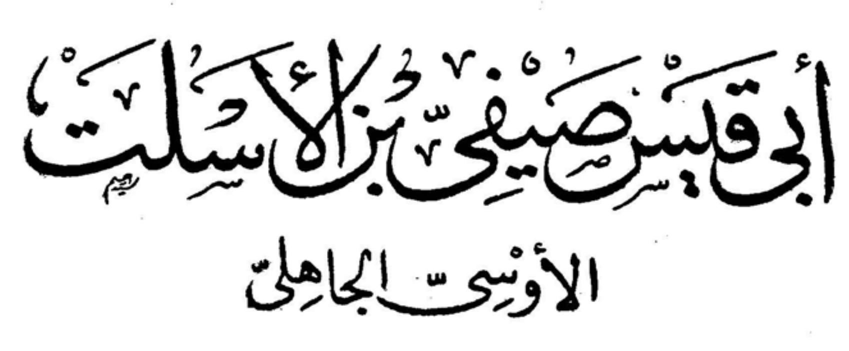
دكتور حسن محمد باجوده
رئيس قسم اللغة العربية
بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة

الناشر
مكتبة
دار التراث
٢٢ شارع الجمهورية - القاهرة









الأوسي الجاهلي

دراسة • جمع • تحقيق

دكتور حسن محمد باجوده
رئيس قسم اللغة العربية
بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة

الناشر
مكتبة
دار التراث
٢٢ شارع الجمهورية - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة

هذا العمل ديوان أبى قيس « صَيْفَىّ » بن الأسلت ، الأوسى الجاهلى ، دراسة ، جمع ، تحقيق ، سار فى خطوات .

أولى هذه الخطوات محاولة جادة لجمع شعره من المطبوعات فى المكتبة العربية ، لأنّ مخطوط ديوانه ضاع مع كثير غيره . وليس بخاف المجهود الذى كان ينبغى أن يبذل فى التعامل مع الكتب التى لا تكاد تعرف التخصص بمعناه الدقيق أو الفهرسة ، كما أنها تذكر كثيراً من الشعر غفلا من النسبة . مع ملاحظة أن عدداً طيباً منها ليس فيه شىء يتصل بالبحث . وقد رتبت الديوان ترتيباً أبجدياً مراعياً الضم فالفتح فالكسر فالسكون . واضعاً الأبيات التى يظن أنها أساساً من قصيدة فى نسق معين يشعر القارىء بإمكانية الأصل الواحد . وقد سجلت مصدر كل قصيدة ومقطوعة أو مصادرها والمناسبة. شارحاً ما ظننته فى حاجة إلى الشرح ، مدوناً كل ماظننته خادماً للنص ، ناسباً كل فضل إلى أصحابه .

وثانى هذه الخطوات الإجابة عن سؤالين . هل كل هذا الشعر صحيح النسبة إلى ابن الأسلت ؟ وكيف تميز شعره الصحيح من غيره ؟ وكانت هناك وسيلتان للإجابة .

الوسيلة الأولى : معرفة الفترة التى انتهت عندها حياته ، وانتهينا بعد دراسة



وتقص إلى ترجيح القول بعدم اسلامه . واستناداً إلى نصوص يطمأن إليها رجحنا وفاته بالمدينة فى نهاية السنة الأولى من الهجرة . ولذلك رفضنا نسبة كل الشعر ذى الروح الإسلامية إليه . وقد تبين أن لبساً حدث فى أذهان المترجمين بين شاعرنا وشاعر مدنى معاصر له يتفق معه فى الكنية هو «أبو قيس صِرْمة بن أبى أنس النجارى» الذى أسلم وأصبح واحداً من المؤمنين حقاً . وهو قائل أكثر الشعر الإسلامى الذى ينسب لابن الأسلت .

الوسيلة الثانية : دراسة المفضلية الخامسة والسبعين التى تنسب لابن الأسلت واعتبارها القاعدة التقريبية التى تقاس بها بقية النصوص . وانتهينا إلى أن شعراً قليلا جداً هو الذى ثبت لشاعرنا .

وثالث هذه الخطوات وآخرها دراسة هذا الشعر الذى ثبت ، وتطبيق عملى ما أمكن لتلك المقاييس التى أمكن استنتاجها من القصيدة المفضلية . وقد شد انتباهنا خلو شعره من المقدمة الطللية وشعر النقائض . وأمكن استنتاج نظم الشاعر فى كليهما .

وبعد : فنحن نهدف من مثل هذا العمل إلى خدمة لغة القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

وفى الختام أسأل الله عز وجل التوفيق فى العمل والسداد فى الرأى إنه سميع مجيب ...

د . حسن محمد باجوده

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

بمكة المكرمة

مكة المكرمة { الاثنين الرابع والعشرون من ذى القعدة عام ١٣٩١ هـ



فهرست الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	ج
أولا : (١) وسيلتنا تمييز شعر ابن الأسلت الصحيح .	١ ـ ٢٢
(٢) دراسة شعر ابن الأسلت .	٢٣
(أ) شخصيته .	٢٧
(ب) الناقة .	٣٣
(جـ) الغـــزل .	٣٦
(د) البيئـــة .	٣٨
(هـ) المدح .	٤٢
(و) فخر جماعى .	٤٤
(ز) أسلوبه .	٤٨
(١) البساطة والدقة .	٤٨
(٢) رهافة الإحساس ودور الجملة الاعتراضية فى الدلالة عليه .	٥١
(٣) العبارة التبيينية .	٥٤
(٤) الالتفات .	٥٥
(٥) المحسنات البديعية والتصوير البلاغى .	٥٦
(٦) صيغ المبالغة .	٥٧
ثانيا : ديوان أبى قيس « صَيْفِىّ » بن الأسلت الأوسِىّ الجاهلِىّ .	٥٩
علامات	٦١
الديوان .	٦٣
خاتمـــة .	٩٣
فهرست بالمصادر والمراجع	٩٤

فهرست بالقصائد والمقطوعات

الصفحة

(١)

وسيلتنا

تمييز شعر ابن الأسلت الصحيح

إن أول شيء نود الوقوف عنده وقفة طيبة هو : محاولة تمييز شعر أبى قيس ابن الأسلت الصحيح من غيره ، لأنه تبين أن الشعر الذى ينسب له ليس كله من نظمه . وهناك وسيلتان فى سبيل ذلك .

أولاهما : معرفة الفترة التى انتهت عندها حياته . وفى ضوء ذلك نحن نقبل أشعاراً ونرفض أخرى .

وثانيتهما : دراسة نص شعرى منتقى يطمأن إلى نسبته للشاعر ، مع ملاحظة أن هذا النص ، وإن كان قصيدة طويلة متعددة الموضوعات ، فمن غير المعقول أن يقسع فيشمل كل الفنون التى عرض لها الشاعر فى حياته ، ومع ذلك ، فإنه بالإضافة إلى أنه يعطينا فكرة ولو بسيطة عن الموضوعات التى يمكن أن ينظم فيها الشاعر ، فإننا نستطيع من دراسته أن نقف على طريقة الشاعر فى التعبير ، وشخصيته ، ونوع الحياة التى عاشها .

من هذه الفوائد ، نستطيع إلى حد كبير أن نقيم اطمئناناً أو عدمه إلى صحة بقية الشعر الذى ينسب إلى شاعرنا .

الوسيلة الأولى

فيما يخص الفترة التى انتهت عندها حياة أبى قيس ، صيفى بن الأسلت ، فالواقع أننا إزاء رأيين . الرأى الأول لمحمد بن إسحاق ، شيخ رجال السيرة النبوية ، الذى يقول بإسلامه . والرأى الثانى للزبير بن بكار ، الذى لا يقول بهذا .

ونحن نريد أن نعطى فكرة بسيطة عن هذين العالمين ، ابن إسحاق ، المولود فى المدينة سنة ٨٥ هـ المتوفى بين سنة ١٥٠ و ١٥٣ (لا تكاد تعدو وفاته هذه السنين الأربع)(١) والزبير ابن بكار المولود بالمدينة سنة ١٧٢ هـ المتوفى بمكة سنة ٢٥٦ هـ(٢) .

---

(١) مقدمة السيرة ص ١٤ .

(٢) مقدمة تحقيق جمهرة نسب قريش وأخبارها ص ٨ و ص ٣ .



فيما يتعلق بابن إسحاق ، فالمعروف مثلا ، أن ابن هشام ، راوى السيرة النبوية عنه ، كان له منهجه فى هذه الرواية ، إذ لجأ إلى ما يمكن أن يسمى بالتهذيب لهذه السيرة ، فمثلا يقول فى سياق توضيحه لمنهجه « . . . . وتارك بعض ما يذكره ابن إسحاق فى هذا الكتاب ، مما ليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ذكر ، ولا نزل فيه من القرآن شىء ، وليس سبباً لشىء من هذا الكتاب ، ولا تفسيراً له ، ولا شاهداً عليه ، لما ذكرت من الاختصار ، وأشعاراً ذكرها لم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها ، وأشياء بعضها يشنُع الحديث به ، وبعضٌ يسوء بعضَ الناس ذِكْرُه ، وبعض لم يقر لنا البكَّائىُّ بروايته . . . »[1] فابن هشام فى روايته للسيرة حكم عقله وذوقه ولم يقبل كل ما روى عن ابن إسحاق ، الذى كان لتضمينه فى السير أشعاراً كثيرة مكذوبة محط نقد ابن سلام الجمحى[2]

وأنا هنا لا أتكلم عن ابن إسحاق راوى الأشعار ، فليت كل الكتب القديمة ، وقد ضاع الكثيرُ من أمهاتها والعديدُ من دواوين الشعراء ، تضمنت مثلما تضمنته السيرة من أشعار ، لأنها ستكون مجالاً خصباً للدراسة ، إنما أتكلم عن ابن إسحاق الذى يمكن أن تخضع بعض آرائه للمناقشة. وفى الوقت الذى أسرف البعض فى مدحه ، هناك من أسرف فى النيل منه .

أما الزبير بن بكار فهناك إجماع أو شبهه على توثقته[3] وقد قال العلامة الأستاذ محمود شاكر فى مقدمة تحقيقه « وبعد ، فهذا كتاب : جمهرة نسب

---

(١) مقدمة سيرة ابن هشام ص (١٢) .

(٢) طبقات فحول الشعراء ٨ — ١١ .

(٣) أنظر ما اقتبسه الأستاذ محمود شاكر من ترجمات الزبير فى مقدمة تحقيقه بين ص ٥٥ ، ٧٢ .



قريش وأخبارها : لأبى عبد الله الزبير بن بكار ، أحد أساطين الرواية فى القرن الثالث للهجرة ، وأحد الحفاظ المتقنين للأخبار ، أخبار العرب فى جاهليتها وإسلامها ، ولا سيما أخبار أهل الحجاز . ورواية الزبير كانت عمدة الناس فى زمانه وبعد زمانه ، لما امتاز به من التقصى والجمع والإحاطة . وقلّ أن يخلو كتاب قديم فى التاريخ والأدب من رواية مستفيضة عن الزبير بن بكار . وقد ظل الزبير أكثر من ستين عاماً يحدّث ويُحْمَل عنه العلم ، وألف أكثر من ثلاثين كتاباً (١) . وقد سجل الأستاذ شاكر ص ٧٠ — ٧٢ أسماء ثلاثة وثلاثين من الكتب التى ألفها الزبير ، معتمداً على الفهرست لابن النديم ومعجم الأدباء لياقوت . وأنا أحب هنا أن أذكر منها ماله علاقة بالمدينة المنورة أو بشخصياتها الأدبية خاصة . كتاب نوادر المدنيين ، كتاب العقيق وأخباره ، كتاب الأوس والخزرج ، وأخبار حسّان ، أخبار الأحوص ، أخبار نُصَيْب ، أخبار عبد الرحمن بن حسان ، أخبار ابن هَرْمة ، أخبار أشعب .

وكل هذا يدل على تمكن الزبير من المعلومات التى يذكرها عن الشعر والشعراء ، المدنيين منهم خاصة .

وأنا لا أريد من إعطاء هذه النبذة عن الشخصيتين أن أنتهى مباشرة إلى أن رأى الزبير الذى يقول بعدم إسلام أبى قيس بن الأسلت هو الراجح . فليست المسألة بهذه البساطة . وأود قبل أى شيء أن أشير إلى حقيقة هامة هى : أن من يقرأ فى العديد من كتب التراجم القديمة عن شخصيتين مدنيتين أدركتا الإسلام ، شخصية أبى قيس بن الأسلت الأوسى وأبى قيس ، صِرْمة ابن أبى أنَس النجارى ، يتبين أن فى المعلومات التى تعطى عنهما ، نوعاً من

---

(١) المقدمة ص (٣) .



التشابه . فأنت تجد المعلومات الإسلامية التى تعطى عن ابن أبى أنس ، من أنه حينما جاء الله بالإسلام اعتنقه وكان واحداً من الذين دخل الإيمان فى قلوبهم الخ . ذلك هى نفسها التى تعطى عن ابن الأسلت ، بحيث تكاد تتحول شخصية ابن الأسلت مطابقة لابن أبى أنس . والشىء الذى لا مراء فيه هو أن هذه المعلومات الإسلامية تعتبر امتداداً طبيعياً وتطوراً للمعلومات التى تعطى عن ابن أبى أنس فى الجاهلية ، من أنه قبل الإسلام وقبل قدوم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة كان يتأله ويدعى الحيفية . ويلاحظ أن هذه المعلومات نفسها ينال ابن الأسلت شىء كبير منها ، وهى تسير جنباً إلى جنب مع المعلومات الصحيحة عنه . وكل ذلك يجعلنا ننتهى إلى نتيجة حتمية هى أن لبساً قد حدث فى أذهان العلماء بسبب المعاصرة وإتقان الكنية بين أبى قيس ، صيفى بن الأسلت ، وأبى قيس ، صرمة بن أبى أنس[1] .

وابن حجر نفسه أحس فى ترجمة « أبو قيس الأنصارى » بشىء من الخلط الواضح بين شخصيتين ، إحداهما شخصية أبى قيس بن الأسلت ، فلم يدعه يمر دون أن يشير إلى الوهم الذى تورط فيه بعض الرواة والغلط فى القسميات .

وابن عبد البَرّ ، فى الاستيعاب ، له موقف واضح إزاء رأى ابن إسحاق الذى يذهب إلى أن ابن الأسلت أسلم ورأى الزبير بن بكار الذى يذهب إلى

---

(١) أنت تجد هذه المعلومات المتداخلة فى الإصابة لابن حجر فى ترجمة « قيس بن صيفى بن الأسلت » و « أبو قيس بن الأسلت » وفى تاريخ دمشق لابن عساكر ٦ / ٤٥٤ . وقد قال ابن حزم فى جمهرة أنساب العرب ص ٣٤٥ عن ابن الأسلت » وكان سيد قومه ، فتأخر إسلامه إلى أن مضى يوم الخندق » .

أنه لم يسلم . يقول « وفيما ذكر الزبير وابن إسحاق نظر فى أبى قيس »(١) وفى موضع آخر يقول « وفيما ذكر ابن إسحاق والزبير نظر ، لأن أبا قيس ابن الأسلت ، يقولون : إنه لم يسلم ، والله أعلم »(٢) .

ولعبد القادر البغدادى أيضاً رأيه الواضح إزاء الخلاف حول إسلام أبى قيس وعدم إسلامه ، ومن ثم هو ينقد ابن حجر قائلا « وعلى هذا فكان ينبغى لابن حجر ألا يذكره فى القسم الأول ، وهم الذين جزم بصحبتهم »(٣) .

وقد قال أبو الفرج فى الأغانى(٤) عن أبى قيس بن الأسلت « وهو شاعر من شعراء الجاهلية » وجاء فى الحيوان(٥) « صيفى بن عامر ، وهو أبو قيس ابن الأسلت ، وهو رجل يمان من أهل يثرب ، وليس بمكىّ ولا تهامىّ ولا قرشىّ ولا حليف قرشى ، وهو جاهلى » .

وتأمل بعد ذلك معى هذا النص من السيرة(٦) الذى يذهب إلى أنه قبل هجرة النبى صلى الله عليه وسلم « لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون ، إلا ما كان من دار بنى أمية بن زيد ، وخطمة ووائل وواقف ، وتلك أوس الله ، وهم من الأوس بن حارثة ، وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الأسلت وهو صَيْفِىّ وكان شاعراً لهم قائداً يستمعون منه ويطيعونه فوقف بهم عن الإسلام ، فلم يزل على ذلك حتى هاجر رسول الله

---

(١) الاستيعاب « صيفى » .

(٢) الاستيعاب « أبو قيس » .

(٣) الخزانة ٣/٣٧٦ .

(٤) ١٧ / ٦٧ « دار المعارف » .

(٥) ٧ /١٩٧ .

(٦) ١ /٤٣٧ .



صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ومضى بدر وأحد والخندق » وهناك نص أكثر تحديداً فى الكامل لابن الأثير[١] فى حوادث السنة الأولى من الهجرة « وفيها جاء أبو قيس بن الأسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرض عليه الإسلام فقال : ما أحسن ما تدعو إليه ، سأنظر فى أمرى ثم أعود ، فلقيه عبد الله بن أُبَىّ المنافق ، فقال : كرهتَ قتال الخزرج ، فقال أبو قيس : لا أسلم إلى سنة ، فمات فى ذى القعدة » وفى تاريخ دمشق لابن عساكر[٢] « ثم انصرف إلى بيته فلم يعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مات قبل الحول ، وذلك فى ذى الحجة ، على رأس عشرة أشهر من الهجرة » .

لكل ما سبق نحن ننتهى إلى أن أبا قيس ، صيفى بن الأسلت ، لم يسلم . ولو قبلنا جدلا ــ إسلامه لما قبلنا البتة تعمق الإسلام فى قلبه ، وهو الذى مات فى فترة مبكرة جداً من وصول الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة .

وبناء على ذلك نحن نرفض نسبة كل الشعر ذى الروح الإسلامية له ، سواء فى ذلك ما نسب له ولغيره فى آن واحد ، أو ما نسب له خاصة . وأحب أن أشير هنا إلى أن ابن كثير يشارك غيره فى هذا المضمار . فهناك مقطوعة وقصيدة يجمع العلماء على نسبتهما إلى أبى قيس صرمة بن أبى أنس ، وينفرد هو بنسبتهما إلى ابن الأسلت[٣] كما يوحى بذلك السياق الذى يدور

---

(١) ٢ / ٤٦ .

(٢) ٦/ ٤٥٦ .

(٣) أعنى المقطوعة التى مطلعها :

يقول أبو قيس وأصبح غاديا ألا ما استطعتم من وصاتى فافعلوا

والقصيدة التى مطلعها :

سبحوا الله شرق كل صباح طلعت شمسه وكل هلال



فيه الكلام أساساً على ابن الأسلت وعذر ابن كثير واضح ، هو الخلط بين هاتين الشخصيتين أساساً .

وعلى ذلك فنحن نرفض نسبة ما يلي إليه :

القصيدة التى مطلعها :

أيا راكبن إما عرضت فبلغن مغلغلةً عنى لؤىّ بن غالب

ولعلّها لأبى قيس صرمة بن أبى أنس كما أشار إلى ذلك السهيلى .

والمقطوعة التى مطلعها :

يقول أبو قيس وأصبح غاديا ألا ما استطعتم من وصاتى فافعلوا

ونرجح أنها لأبى قيس صرمة .

والمقطوعة التى مطلعها :

سبحوا الله شرق كل صباح طلعت شمسه وكلّ هلال

ونرجح أنها لأبى قيس صرمة .

وهذا البيت :

رجموا بالغيب كيما يعلموا من عَديدِ القوم ما لا يعلم

ومعروف أن الرجم بالغيب تعبير إسلامى .

والمقطوعة التى مطلعها :

ومن صنعه يوم فيل الحبو ش إذ كلما بعثوه رزم

وقد جاء فى سيرة ابن هشام « والقصيدة أيضاً تروى لأمية بن أبى الصلت » .

والشطر الثانى من البيت الأول فى قوله :

أسرت مخلداً فعفوت عنه وعند الله صالح ما أتيت

مزينة عنده ويهود قورى وقومى ، كل ذلكم كفيت

وأول ما يلاحظ على الشطر ذى الروح الدينية هو اشتماله على لفظ الجلالة ،

وقد لا تكون غرابة فى ذلك ، ولكن كونه يصف صنيعه بأنه عمل قصد به الله عز وجل ، فهذا هو المهم فى الموضوع . وفى اعتقادى ـ والله أعلم ـ أن هذه الفكرة إسلامية .

ولو تأملنا مابقى من البيتين ، لوجدناه يتفق تماماً مع الأحداث التاريخية ومع شخصية الشاعر . فكتب التاريخ تحدثنا صراحة أن الشاعر قد أسر مُخَلَّدًا هذا وعفا عنه ، فقد جاء على سبيل المثال فى غ[١] مايلى « وأسر أبو قيس ابن الأسلت يومئذ مخلد بن الصامت الساعدى ، أبا سلمة بن مخلّد ، واجتمع إليه ناس من قومه من مُزَيْنة ومن يهود فقالوا : اقتله فأبى وخلى سبيله » .

ثم إنه من المعروف أن الأوس يوم بعاث استعانوا باليهود من قريظة والنضير وغيرهما من القبائل اليهودية[٢] . وجاء فى غ[٣] « وبعاث : من أموال بنى قريظة ، فيها مزرعة يقال لها قورى » ولا شك أيضاً أن الشطر الأخير يتفق مع شخصية أبى قيس المعروفة من شعره الصحيح . وبناء على كل هذه الحقائق ، قد يكون من حقنا أن نظن أن الشطر ذا الروح الدينية الإسلامية لم يصل إلينا فى صورته الأولى التى نظمه فيها الشاعر ، وأن شيئاً من التغيير قد طرأ عليه .

أما هذه الجملة « والله المعين » من قوله :

وأحرزنا المغانم واستبحنا   حمى الأعداء والله المعين

والتى من الجائز أن نشتم منها روحاً إسلامية . فيمكن أن يكون موقفنا منها هو موقفنا من العبارة السابقة . فقد لا يكون الشاعر قد قالها فى هذه الصورة .

---

(١) ١٧/٧٥ « دار المعارف » .

(٢) أنظر أثير ١ / ٦٨٠ .

(٣) ١٧ / ٧٢ « دار المعارف » .



الوســيلة الثانية

وفيما يخص النص الذى يطمأن لدراسته كى يكون القاعدة التقريبية التى تقاس بها بقية النصوص غير ذات الروح الإسلامية فهو المفضلية الخامسة والسبعون . وقد نظمها الشاعر مخاطباً زوجته التى أنكرته حينما رأته بعد أن طالت غيبته قائداً للأوس فى معركة بُعاث وأخيراً عرفته .

ومطلعها :

قالت - ولم تقصد لقيل الخنا - مهلاً فقد أبلغت أسماعى

وقد وقع عليها الاختيار للأسباب التالية :

(أ) للمنزلة التى تتمتع بها المفضليات من حيث الاطمئنان إلى صحة ما تتضمنه من شعر .

(ب) لأن هذه القصيدة كاملة ، شأن كل قصائد المفضليات .

(ج) لأن هذه القصيدة وجدت أجزاء منها ، تطول أو تقصر ، فى ستة وعشرين مصدراً — غير المفضليات — فيما يزيد على السبعين موضعاً . ولم يحدث أن نسب بيت واحد منها لغير أبى قيس بن الأسلت ومثل هذا الإجماع يندر حدوثه .

(د) لأن الدارس لهذه القصيدة بإمعان ، يجد وجه شبه دقيق بين شخصية أبى قيس بن الأسلت ، كما تبدو من ثناياها وشخصيته الصحيحة التى وصفتها لنا الكتب التى عرضت له .

دراسة القصيدة المفضلية

هذه القصيدة المفضلية تتكون من أربعة وعشرين بيتاً . ولكن جاء تعليقاً على البيت الثالث والعشرين ما يلى « هذا البيت والذى قبله ، لم يروهما أبو عكرمة ، وزادهما أحمد بن عبيد » .

وهذان البيتان هما :

كأن أطراف وَلِيَّـاتها في شمأل حَصَّاء زعزاعِ
أُزَيْنُ الرَّحْل بعقومة حارية أو ذات أقطاع

وللتأمل لهما من القصيدة ككل يتبين أن ثانيهما سبق أن جاء معناه فى الشطر الثانى من البيت العشرين حيث يقول :

ذات أساهيج جُمالية حُشَّتْ بحاريَّ وأقطاع

ثم إن هناك إيطاء ، وهو اتفاق الكلمتين لفظاً ومعنى فى آخر البيتين . وأخيراً هو بيت قلق يفسد الوحدة الموضوعية للقصيدة . ومن ثم نحن نستبعده . ولكننا نبقى البيت السابق عليه ، لأنه يضيف جديداً إلى المعنى ، ولا يفسد وحدة القصيدة بحال .

وأول ما يمكن أن يلاحظ هو عودة الضمير فى « قالت » إلى زوجه التى طلبت من هذا الذى يطرق الباب ، طرق الواثق المدل بنفسه بأن عليه أن يتمهل . فقد قام الدق بدوره ، وعرفت أن بالباب شخصاً ما . فلا داعى لأن يستمر الدق المزعج العنيف . ولهذا هى تطالب منه فى لهجة صارمة أن يتمهل . ولا ينسى الشاعر فى هذه الجملة الاعتراضية « ولم تقصد لقيل الخنا » أن يضمنها ارتياحه لهذا التصرف الحميد من زوجه ، وأن ينفى عنها صفة الفحش فى الكلام ، فهى لم تقل هجراً ، وإنما الذى كان عليها أن تقول . وفى البيت الثانى :

أنكرتِه حتى توسَّمتِه والحرب غول ذات أوجاع

يلتفت مخاطباً لها بأنها أنكرته أول الأمر . وحينما رنت إليه وأنعمت فيه النظر عرفته فتحولت وحشتها فرحاً بلقائه وأنساً بعودته . ويردف ذلك بشطر من الشعر فيه تبرير لإنكار زوجه له ، عذر له فى بعده عنها ، وشعور ساخط لتلك الحرب ناقم عليها « والحرب غول ذات أوجاع » .

فالحرب فى نظره داهية ترتبط بها الأوجاع والآلام والأوصاب . وقد عمق هذا الشعور المرير تجاه الحرب ببيت يمثل أصدق تمثيل الألم الذى يعترى من يتورط فيها . يقول :

مَنْ يَذُقِ الحرب يجد طعمها مُراً وتحبسه بجَعْجاع

وهو فى هذا إنما يخاطب من طرف خفى أولئك الذين يظنون الحروب شيئاً هيناً ليناً فيقول :

إن الذين يعرفون الطعم الحقيقى للحروب هم فقط أولئك الذين تجرعوا مرارتها ، واكتووا بنيرانها ، ووجدوا أنفسهم منها فى أحلك المواطن وأخطر المواقف . وبطبيعة الحال . أبو قيس بن الأسلت ، واحد من أولئك ، وهذا ما حاول توضيحه فى الأبيات التالية :

قد حصّت البيضة رأسى فما أطعم نُمضاً غير تَهجاع
أسعى على جلِّ بنى مالك كل امرىء فى شأنه ساعى
أعددتُ للأعداء مَوْضونة فضْفاضةً كالنّهى بالقاع
أحفِزها عنى بذى رونق مهند كالملح قطّاع
صَدْقٍ حسام وادقٍ حَدُّهُ ومُجْنَإٍ أسمر قَرّاع
بزّ امرىء مستبسل حاذر للدهر جلد غير مِجْزاع
الحزم والقوة خير من الـ إدهان والفكّة والهاع
ليس قُطاً مثل قطَىٍّ ولا الـ مرعى فى الأقوام كالراعى
لا نألم القتل ونجزى به الـ أعداء كيل الصاع بالصاع

فهو فارس شجاع قائد . تعلقت عليه الآمال ، وأحس بعبء المسئولية الثقيل الذى حطّ على ظهره ، فهو فى شكة الحرب دائماً . وخص البيضة بالذكر



هنا لأن أثرها فى جسمه أكثر من أثر غيرها وأقرب لأن يراها كل واحد . إذ أنها للزومها لرأسه قد حلقت شعر ذلك الرأس . وهذا اللزوم دليل على أخذ الشاعر للأمور مأخذ الجد ، مردفاً ذلك والسبب نفسه ، بأنه لا يعرف للنوم طعماً ، اللهم إلا ما يختلسه منه اختلاساً ، إن أمن الأعداء ، وهذا نادر ، إنه يهتم كل هذا الاهتمام ليس لأنه قائد فقط ، ولكن لأنه يحس فى أعماقه بأنه القيم والوصى على قومه ، قد خلق متميزاً على أقرانه ، مهيئاً لأن يقوم بدور الرئاسة والقيادة والإشراف على الآخرين ورعاية مصالحهم . وقد عبر فى هذا الشطر « كل امرىء فى شأنه ساعى » عن شعوره بحقيقة وزنه ووزن الآخرين وأن كل شخص قد وضع الله فيه طاقة معينة تهيئه للقيام بالعمل الموفق لهذه الطاقة المساوى لها .

وبعد أن انتهى من الحديث عن البيضة انتقل للحديث عن ثلاثة من مقومات عدته الحربية . الدرع والترس اللذان يقيانه أذى الأعداء . والسيف الذى يوصل إليهم أذاه . وقد عبر عن حذره وحُنكته فى وصفه للدرع بأنها نسجت حلقتين حلقتين فهى أبعد من أن تؤثر فيها النبال أو الرماح أو السيوف ، وبأنها واسعة فضفاضة ، فهى تتيح له حرية الحركة والبطش ، وأنها لعنايته كالنهى بالقاع ، فهى صافية صفاء الماء فى الموضع الذى له حاجز ينهى الماء أن يفيض منه . وهو يعجل الأعداء عن إيصال الأذى إليه ويزعجهم عن إلحاق الضرر به باستخدامه لسيفه الكامل الصفات ، فهو براق ، مصنوع فى الهند ، كالملح فى بياضه ، صلب ، قاطع ، ماضى الحد وباستخدامه كذلك للترس الأسمر الذى يقارع به الأعداء المرة تلو المرة .

إن البيضة والدرع والسيف والترس ، هى عدة أبى قيس بن الأسلت للحرب ، ذلك الفتى المستبسل فى القتال ، فهو شجاع ، الحاذر للدهر ، فهو



محنك . الجلد ، فهو آلف لشظف العيش وخشونة الحياة . غير الجزاع ، فهو ليس متميع العاطفة ، ولا غفلا من التجارب . إن الشاعر قد حلب من الدهر أشطره ، فهو يؤمن بأن الحزم والقوة فى الحيـاة خير من المداهنة والضعف والحرص الشديد . والشخص الذى هذه صفاته خليق بأن يكون راعياً لقومه وسيداً مطاعاً فيهم . وهكذا كان أبو قيس بن الأسلت ، وهذا ما آمن به ، وهذا ما عبر عنه فى قوله :

ليس قطاً مثل قطى ولا الـــــمرعى فى الأقوام كالراعى

إن كونه هو وقومه فى الذؤابة جعلهم هدفاً يرمى ولـكنهم ألفوا ذلك فتعددت الوقائع وكثر القتلى منهم وتعودوا كل ذلك وألفوه ، فأنت لا تجدهم يتألمون لمن يقتل منهم ، ولا يضيعون الأوقات فى حزن عقيم ، بل يحولون كل ذلك عملا جاداً متواصلا أخذاً بالثأر . والشاعر يشير هنا من طرف خفى إلى أنهم فى حروب دائمة مستمرة ، إذ أن الحروب لا تنتهى عادة بالأخذ بالثأر ، بل تبدأ به حروب جديدة .

ونحن نتساءل : لماذا يعتمد ابن الأسلت على السيف وليس على الرمح أو النبال . والجواب على هذا هو أن المحاربين إنما يستخدمون النبال حينما يكون الأعداء على بعد بين . والرماح حينما يكونون أقل بعداً . والسيوف هى الآلة التى يلجأ إليها حينما يتم الالتحام التام بين الأطراف المتقاتلة . وهى أيضاً الآلة التى يندر أن تخون أو تطيش بعكس الرمح الذى يخون عادة بانـكساره والنبل الذى يطيش عن هدفه . لـكل ذلك يرتاح الشجاع إلى السيف ، إذ يجد فيه المتنفس الأكثر ضماناً لأحقاده وأضغانه . وهكذا كان أبو قيس ابن الأسلت ، وهكذا كان غيره من أبطال التاريخ . إذ نجدهم غالبـاً يعنون بسيوفهم أكثر . إنهم فى اقتنائها راغبون ، وبها ضنينون ، وعلى ارتباط



أسمائها بهم حريصون . والشاعر يتعاون قومه الأوس معه يدفعون الأعداء عنهم فى صورة كتيبة تمضى قدماً ، على سنن واحد لا تعرج على شىء وهى كتيبة يتقدمها القادة من أمثال أبى قيس بن الأسلت ، يتلوهم أفرادها المتجهون نحو الأعداء ، المندفعون فى هيئة سيل أتِيّ لا يبقى على شىء أمامه ، وكأنهم أسد فى مظانها حيث تلتف الأشجار ، تدافع عن أشبالها دفاعاً مستميتاً ، قد دوى صوتها الأجش الذى يزمجر من صدورها . وحينما انتهت الحرب وانكشف الأعداء كانت رايتهم عالية تخفق فوق ذلك الجمع الذى لا يعتمد على غير أفراده ولا يستعين بأحد من غير أبنائه . يقول :

لا نألم القتل ونجزى به الـ ـأعداء كيل الصاع بالصاع

نذودهم عنا بمُسْتَنَّةٍ ذات عَرانين ودُفَّاع

كأنهم أُسْدٌ لدى أشْبُلٍ ينهَتْنَ فى غِيلٍ وأجزاع

حتى تجلت ولنا غاية من بين جمع غير جُمّاع

إن الشاعر وهو واحد من الجمع الذى هذه صفته ، يشعر فى أعماقه بأنه قام بعمل متميز ، ولعب دوراً فريداً بينهم فى تلك الحرب وفى غيرها من المواقف ، ومن ثم هو يوجه الخطاب مرة ثانية إلى زوجه ، وهو المطمئن إلى خصاله الحميدة ، حاثاً لها على أن تسأل عن تصرفاته إزاء المواقف التى يجمل فيها الإقدام أو الإحجام فى الوقت الذى يرغم فيه الفرسان على التقهقر والانسحاب ، وعن جوده بكرائم ماله ، وتواضعه الجم ، إذ يجيب دعوة أى داع ، كائناً من كان ، إلى الوليمة ، وعن ضربه أثناء المعركة رءوس الأعداء بسيفه الذى لم يقصر به باعه ، وعن قطعه للصحراء المهلكة وحيداً على ناقته . وهنا ينعتها بأحسن النعوت فهى بيضاء اللون ، سريعة حديدة مِذْعان ، لها ضروب مختلفة من السير ، وثيقة كالجمل ، وهى وإن كانت مجهدة فإنها



تعطيك من السير ما يروقك ولا تحوجك مطلقاً إلى استعمال السوط ، يؤمن عثارها ، ولا تظلع فى مشيها ، قد عنى الشاعر بها ، فضم جانبيها بالطنافس ، وزين رحلها بالتطوع التى تصنع بالحيرة ، وأن الراكب عليها لسرعتها ، يظن أنه يمتطى ريح الشمال الصافية التى لاغبار فيها ، والتى تحرك الأشياء وتزعزعها . يقول :

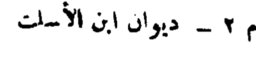
هلاَّ سَأَلْتِ الخيل إذ قلصت ... ما كان إبطائى وإسراعى
هل أبْذلِ المال على حبه ... فيهم وآتى دعوة الداعى
وأضرب القونس يوم الوغى ... بالسيف لم يقصر به باعى
وأقطع الخَرْقَ يُخافُ الرَّدى ... فيـه على أدْماء هِلواع
ذاتِ أساهيجَ جُمَـالِيَّة ... حُشَّت بحـارِىَّ وأقطـاع
تُعْطِى على الأيْنِ وتنجو من الضَّـ ... ـرب أمونِ غـيرِ مظلاع
كأن أطراف وليـانِهـا ... فِى شَمْـألٍ حَصَـاء زعـزاع

وقد ختم الشاعر القصيدة بهذا البيت :

أقضى بها الحاجات إنّ الفتى ... رهنٌ بذى لونين خـدّاع

فهو وقت السلم يقضى حاجاته على هذه الناقة التى نعتها بأحسن النعوت ثم هو شخص مجرب محنك . يعرف أن له غريماً ملازماً لن يقوى على الفكاك منه . هذا هو الدهر الخداع الذى له لونان متضادان . اللون الصافى الذى لازال يظهره للشاعر الذى ارتاح له واطمأن إليه واستفاد منه . واللون الآخر المقابل الذى سوف يظهره له حتما حينما يقلب له ظهر المِجَنّ . وقد وطّن الشاعر نفسه لاستقبال كل ذلك مستقبلا .

مما سبق تبين لنا الموضوعات التى يمكن أن ينظم فيها شاعرنا ، وطريقته فى التعبير ؛ وشخصيته ، ونوع الحياة التى عاشها .



وفى ضوء كل ذلك ألفينا نظرة فاحصة على بقية الشعر غير الإسلامى الذى ينسب له ولغيره فى آن واحد ، والذى ينسب له فقط . وانتهينا إلى مايلى :

المقطوعة المكونة من بيتين والتى مطلعها :

فمن ورث الغنى فليصطنعه صنيعته ويجهد كل جهد

يمكن أن يكون المطلع لابن الأسلت ، فقد جاء نظيره فى قوله مخاطباً ابنه :

ومالكَ فاصطنعه واصلحنه تجد فيه الفواضل والنعيما

كما يمكن أن يكون لأحيحة بن الجلاح الأوسِىّ الجاهلى البخيل فإنه ينسب له أيضاً(١) ولكن ثانيهما لا يمكن أن يصدر إلا من ابن الأسلت وهو :

ولا يمنعه من حمد وشكر ولا يبخل به عن فعل رشد

والمقطوعة التى مطلعها :

من يَصْلَ نارى بلا ذنب ولا ترَةٍ يَصْلَ بنار كريم غير غدّار

والتى انفرد أبو الفرج فى الأغانى بنسبتها لابن الأسلت بينما أجمعت بقية المصادر على نسبتها لقيس بن رفاعة الواقفى الأوسى هى فى الواقع للأخير .

والمقطوعة التى مطلعها :

فلست لحاصن إن لم ترونا بمجالدكم كأنا شَربُ خمر

على الرغم من أنها تنسب فى طبقات ابن سلام الجمحى لابن الأسلت إلا أنها موجودة ضمن قصيدة لقيس بن الخطيم فى ديوانه . ونحن نرجح أنها للأخير .

وهذا البيت :

وقد لاح فى الصبح الثريا كما ترى كعنقود مُلاَّحية حين نوّرا

---

(١) أنظر ما قيل فى نسبة المقطوعة التى منها هذا المطلع فى دراستنا لشعر أحيحة ابن الجلاح .



هو لأبى قيس بن الأسلت حسب إجماع العلماء خلافاً لعبد القاهر الجرجانى الذى نسبه فى أسرار البلاغة لقيس بن الخطيم .

والمقطوعة التى مطلعها :

إذا جُمادَى مَنَعَتْ قَطْرَها زان جِنانى عَطَنٌ مُغْصِفُ

هِىَ لأُحَيْحَةَ بنِ الجلاح الأوسى[1] .

والبيت :

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأى مشترك

ليس سوى تحريف لبيت عمرو بن امرىء القيس الخزرجى :

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأى مختلف

وهو ضمن قصيدة تقع فى ثمانية عشر بيتاً :

مما سبق يتضح أن هناك سببين للغلط الكبير فى نسبة هذه الأشعار إلى قائليها .

(ا) لاشتراك هذه المجموعة من الشعراء فى لفظ « قيس » .

(ب) لأن هؤلاء الشعراء يعيشون فى بيئة واحدة هى بيئة يثرب .

وقد يكون للاعتماد على الذاكرة ساعة التدوين سبب فى هذا الغلط .

تبقى بعد ذلك مقطوعتان نود أن نقف عندهما وقفة أطول .

المقطوعة الأولى التى مطلعها :

لَا تَنْفَاءُ الجَرِيبِ فَنَعْفُ سلى فأحساء الأساحل فالجناب

وهى تتكون من سبعة أبيات جاءت كاملة ومنسوبة لشاعرنا فى صفة جزيرة العرب للهمدانى وجاء الثانى فقط فى معجم البلدان « روضة ليلى »

---

(١) أنظر ما قيل عن نسبة هذه المقطوعة فى دراستنا لشعر أحيحة .



منسوباً أيضاً . وقد انفرد الهمدانى بذكر المناسبة قائلا « وقال أبو قيس ابن الأسلت يزجر غطفان عن مناجزة الخزرج » ومعروف أن الشاعر أوسى وقد كان العداء فى أيامه على أَشُدّه بين الحيين ، الأوس والخزرج . وإذن فالمسألة لا تخلو من أحد احتمالات ثلاثة :

(١) أن يكون هناك خطأ من الهمدانى فى ذكر الخزرج .

(٢) أن يكون القائل غير أبى قيس بن الأسلت .

(٣) أن يكون الهمدانى معتمداً لذكر الخزرج على أساس أن الأوس والخزرج يطلق عليهما فى الجاهلية وصدر الإسلام خاصة « الخزرج » لتقدم الخزرج على الأوس فى العدد والطاقة فمثلا أشار الجاحظ فى الحيوان[1] إلى تقديم المفضول على الفاضل بقولهم « الأوس والخزرج » وجاء فى السيرة النبوية عن موقعة حنين من أن « الدعوى أول ما كانت يا للأنصار . ثم خلصت أخيراً : يا للخزرج »[2] وذلك ساعة انكشاف المسلمين أولا .

ولو تأملنا هذه المقطوعة بإمعان وحاولنا أن نتبين معناها وأن نتعرف على خصائصها لاتضح لنا أن الشاعر يخاطب غطفان التى لم يأت لها ذكر فيها — ولا للخزرج — بأن الأحرى بهم أن ينصرفوا عن قومه الذين لهم خُلُق وجانب وشأن إلى ورود الأماكن المخصبة التى يذكرها وخاصة روضة ليلى التى أخذ يغنى فيها الذباب لكثرة مياهها وخضرة نباتها حتى لكأن المَكْر والحَوْذانَ والحُمّاض الغابة لعدم اقتراب الناس منها ورعيهم لها . وأن يأبوا ذلك فإن بنى سليم وإخوتهم هوازن فى صف قومه . وهناك بالحولان كلب

(١) ٥ / ٥٢٢ .

(٢) ٢/ ٤٤٥ . وانظر السيرة أيضاً ١ /٤٤١ .



والرباب ، وأسفل من غطفان بكر نزلوا فى تِمشار (موضع بالدهناء) قد أرسوا القباب ومدوا الأطناب .

والشىء الذى لامراء فيه هو أننا نفتقد فى هذه المقطوعة شخصية أبى قيس ابن الأسلت القوية ، واعتداده بقومه ، ونخره بأنه هو وقومه يكونون جمعاً غير جماع وكتيبة صافية لم تـكدرها أخلاط من غير الأوس .

لـكل ما سبق ، نحن من حقنا أن نتردد فى البت فى نسبة هذه المقطوعة لشاعرنا . ومع ذلك يمكن أن يقال : قد يكون الشاعر نظم هذه المقطوعة فى فترة متقدمة من فترات حياته المتطورة فنياً ، أو فى وقت وجد فيه قومه أنفسهم متقهقرين أمام الخزرج فلجأوا إلى طلب المساعدة من غيرهم مخالفين فى ذلك لما يفضلون عادة من أن يحاربوا بجمع ليس فيه دخيل ولا غريب خاصة وأن عندنا نصوصاً موثوقة تؤكد أن اليثربيين لم يكونوا يوماً من الأيام بمعزل عن غيرهم ، وأن التعاون ، خاصة فى المجال العسكرى ، متبادل . فهذا قيس ابن زهير بن جَذيمة مثلا يطلب من أُحَيحَة بن الجلاح الأوسىّ أن يعينه عسكرياً ضد بنى عامر الذين قتلوا والده . وفى يوم بعاث نفسه استعان الأوس فعلا بقريظة والنضير وقبائل يهودية أخرى ومُزينة بينما استعان الخزرج بأَشْجع وجهينة[1] وقبل ذلك حرصت الأوس على محالفة قريش ضد الخزرج ونجحت سفارتها أول الأمر ، ولـكن حينما جاء أبو جهل الذى كان غائباً وعلم بهذا الحلف لم يرض عنه ونجح فى إفساده[2] .

---

(١) أثير ١/٦٨٠ وانظر أيضاً غ ١٧ / ٦١ دار المعارف فقد أضاف إلى حلفاء الأوس بنى ثعلبة وهم من غسان وبنى زَعُوراء وهم من غسان أيضاً .

(٢) أثير ١/٦٧٧ « يوم مُعَبَّس ومُضَرَّس » .



بناء على هذه الحقائق قد يكون من الجائز أن نقبل نسبة هذه المقطوعة إلى شاعرنا . والمقطوعة الثانية هى التى مطلعها :

وكان أبو أحيحة قد علمتم بمكة غـير مهتضم ذميم

وأبو أحيحة هو سعيد بن العاص بن أمية القرشى . وهى مقطوعة المدح الوحيدة فى شعر ابن الأسلت ، وتختفى فيها شخصيته أيضاً . ولـكن شعر المدح هذه طبيعته غالباً . ويمكن بأن ننتفع فى هذه المناسبة كذلك من معرفتنا بحقيقة العلاقة الوثيقة بين الأوسيين والقرشيين ، وفوق هـذا ، لا غرابة أن يمدح شاعرنا هذه الشخصية ذات المنزلة المعتبرة فى نظر القرشيين . وعليه يمكن قبول نسبة هذه المقطوعة إلى أبى قيس بن الأسلت[١] .

وبعد كل هذه الدراسات التى كان هدفها محاولة تمييز شعر أبى قيس ابن الأسلت الصحيح من غيره تبين أن الذى صح من شعره قليل جداً[٢] ولـكننا راضون عنه سعداء به ، وسنتناول كل الذى صح ، بالدراسة ، فى الصفحات التالية ، إن شاء الله .

---

(١) يلاحظ أن ابن أبى الأسلت وأبا أحيحة ماتا فى عام واحد تقريباً .
(٢) لا يتجاوز ثمانية وستين بيتاً من مائة وتسعة وأربعين .



(٢)
دراسة شعر ابن الأسلت

(ب) دراسة شعر ابن الأسلت

إن الدارس لشعر ابن الأسلت تستوقفه نقطتان .

أولاهما : خلو شعره من المقدمة الطللية ، ذلك الجزء التقليدى من القصيدة العربية القديمة .

ثانيتهما : خلو شعره من قصائد فى النقائض . ومعروف أن هذا الشعر ، بحكم الصراع بين الأوس والخزرج ، كان مزدهراً فى بيئة يثرب .

وفيما يتعلق بالمقدمة الطللية ، فعلى الرغم من أنه ليس هناك نص واحد صريح يمكن أن يقال إنه مقدمة ، وقد لاحظنا خلو العينية منها أيضاً ، إلا أنه أمكن استنتاج وقوف الشاعر على الأطلال وتسجيله لهذا الوقوف شعراً . فقد صرح البغدادى فى الخزانة بذلك فى شرحه الأول الأبيات الأربعة فى الناقة وهو :

ثم ارعويت وقد طال الوقوف بنا فيها فصرت إلى وجناء شملال

بقوله « . . . . وضمير فيها للدار . يريد أنه طال وقوفه على دار حبيبته وليس فيها أحد » .

وهكذا فشاعرنا ، فيما يتصل بهذه النقطة ابن عصره .

وفيما يتعلق بشعر النقائض ، فقد أمكن كذلك استنتاج مشاركة ابن الأسلت الذى كان يعدل بقيس بن الخطيم فى الشعر والشجاعة بلسانه دفاعاً عن قومه ، تماماً كما كان يدافع بيده

فالمتأمل لهذين البيتين :

وأحرزنا المغانم واستبحنا حمى الأعداء والله المعين

بغير خِلابة مكر ولكن مجاهرة ولم يخبأ كمين

يمكن أن يستنتج أنها والأبيات الأربعة الأخرى التي تتفق معها وزناً وقافية من قصيدة واحدة أصلا . فقد جاء في السيرة[1] بصدد بيتين من الأربعة أنهما قيلا في رثاء حُضَير بن سِماك الأشهلي ، أحد قواد الأوس في بُعاث والذي قتل يومئذ .

ومما يؤيد قولنا بأن هذه المجموعة من الأبيات من قصيدة واحدة أصلا أن أحد الأبيات ، ولعله المطلع ، قد جاء فيه ذكر حسان ، الذي نرجح أنه ابن ثابت الخزرجي . يقول :

ألا من مبلغ حسان عنى أطب كان داؤك أم جنون

وجاء في ديوان حسان ٢٥٥ قصيدة تقع في تسعة عشر بيتاً ، يخاطب حسان فيها أبا قيس بن الأسلت . ومطلعها .

ألا أبلغ أبا قيس رسولا[2] إذا ألقى لها سمعاً تبين

وهي كما يتضح ، تتفق مع أبيات ابن الأسلت في الوزن والقافية ، مما يدل على أن القصيدتين نقيضتان ، وأنهما نظمتا في حرب بعاث . وليس بخاف ابتداء المطلعين بأداة الاستفتاح والتنبيه « ألا » ومجيء « مبلغ » في الأول و « أبلغ » في الثاني .

وهكذا فشاعرنا فيما يتصل بهذه النقطة ابن بيئته .

وقد أمكن دراسة شعر ابن الأسلت في هذه الصورة والترتيب .

(أ) شخصيته . (ب) الناقة . (ج) الغزل . (د) البيئة .

(هـ) المدح . (و) فخر جماعي . (ز) أسلوبه .

وإليك تفصيل ذلك .

---

(١) ٥٥٦/١ .

(٢) الرسول بمعنى الرسالة .



(أ) « شخصيته »

نستطيع أن نقول إن هناك عدة عوامل ساعدت على تكوين شخصية أبى قيس بن الأسلت .

(أ) البيئة . (ب) معدن الرجل . (ج) نفسه الكبيرة .

وبالنسبة للبيئة فالمعروف أنها بيئة يثرب ، وهى جزء من الجزيرة العربية ككل ، المعروفة آنذاك بروحها العسكرية ، الممثلة بوضوح فى ذلك الفيض من الشجعان والشعر الحماسى البطولى . وإن الذى يقارن بين شعر الفترة الجاهلية ، المتقدمة من تاريخ الأمة العربية ، وشعر الفترة المتقدمة من تاريخ الأمم الأخرى يدرك أن الذى يميز شعر الأمة العربية بوضوح هو روح الرجولة أو البطولة التى تلازمه والتى يعرف بها أهله .

وليس بخاف ذلك الصراع العنيف الذى كان قائماً بين الأوس والخزرج . فنتيجة للحروب الدامية والمعارك الطاحنة بين الحيين وجدنا الروح العسكرية تتغلغل فى كل فرد منهم تقريباً . وقد يجد بعض الأفراد فى أنفسهم استعداداً فطرياً لألف هذه الحروب والاندماج فيها ، وشعوراً بأن لديهم من التفوق البدنى والمعنوى ما يجعلهم أهلاً لأن يكونوا فى مصاف الأبطال المعتبرين ، بل لأخذ زمام القيادة ، فيعمل الواحد منهم جاهداً فى سبيل هذه الغاية . وينجح أحياناً كما نجح فعلا شاعرنا وفارسنا أبو قيس بن الأسلت .

إن البيئة العسكرية ومعدن الرجل والنفس الكبيرة التى يتحلى بها شاعرنا جعلت شخصيته تبدو من طراز معين يؤمن بالقوة ـ فى مختلف صورها ـ المقرونة بالحزم المقيدة بالعفو عند المقدرة وبحب الخير وبالتواضع يقول :

الحزم والقوة خير من الـ ـإدهان والفكة والهاع

فهو حينما يعلن كرهه لبعض الصفات فى الإنسان « الإدهان والفكة

والهاع » إنما يعلن ضمناً حبه لما يقابلها . إنه حينما يكره المصانعة واللين إنما يحب الصراحة والاستقامة . وحينما يمقت الاسترخاء فى الرأى الذى ينم عن استرخاء فى العزيمة إنما يكبر الاستقامة والقوة فيهما . وحينما يرفض الحرص المقرون بالضعف إنما يرحب بالتضحية المقرونة بالعزة .

والواقع أن شاعرنا معروف بالحزم دائماً إذ لم يجهل حقيقة الصراع الناشب باستمرار بين قومه والخزرج خاصة . لذلك نراه دائماً مستعداً . يقول مثلا :

أعددت للأعداء مَوْضونَةً فضفَاضَةً كالنِّهى بالقاع

أحْفِزُها عنى بذى رَوْنَقٍ مُهَنَّدٍ كالمِلْحِ قَطَّاع

صَدْقٍ حُسام وادقٍ حَدُّه ومُجْنَأٍ أسْمَرَ قَرّاع

بز امرىءٍ مُسْتَبْسِلٍ حاذر للدهر جلد غير مِجْزاع

ونحن نود أن نقف عند جملة « أعددت للأعداء » فهو يفكر فى الدفاع قبل أن يفكر فى الهجوم . والحكم يفترض دائماً أسوأ الفروض ، فإذا كانت قاعدته صلدة استطاع بعدها أن يتحرك ويتقدم . ويؤكد هذه النظرة عند صاحبنا لفظة الأعداء ، التى تطلق عادة على أناس ثبت عداؤهم من قبل ، لا على أناس سيفكر الشاعر القائد مثلا فى تصبيحهم أو الإغارة عليهم . ثم هو إنما يعد لهؤلاء وسيلة الدفاع الأولى وهى الدرع ، وهى ليس درعاً عادية ولكنها منسوجة حلقتين حلقتين مبالغة من صاحبنا فى التوقى والحذر ، مع علمه بأنها ستكون ثقيلة ، وستعوق حركته فى المعركة ولكن حكمته وقوته لا يمانعان فى ذلك . وكونها فضفاضة يعوضه بعض ما فقد من حرية فى الحركة وهو يشير أيضاً إلى الترس الأسمر القراع ، الذى يحميه من سيوف الأعداء ورماحهم ونبالهم . وقبل هذا وذاك هو يشير إلى البيضة التى حلقت شعر رأسه لزومها إياه .

ونستطيع أن نقف أيضاً عند قوله :

هلاّ سألت الخيـل إذ قلصت   ما كان إبطائى وإسراعى

ففى الوقت الذى يرغم فيه الفرسان على التقهقر نجده رابط الجأش حسن التصرف . يقدم حين يرى الإقدام عزماً ويحجم حين يرى الإحجام حزما . وتأمل قوله « إبطائى وإسراعى » فقد تـكون القـافية هى التى جعلته يقدم إبطائى ويؤخر إسراعى . ومع هذا فنحن لانجد تعارضاً بين هذا الترتيب وبين الحزم والحذر اللذين عرف بهما فارسنا .

وكما يفـكر فى الدفاع هو يفـكر فى الهجوم ، كما مر بنا فى الإشارة إلى سيفه الذى نعته بأحسن النعوت . هـذه الآلات هى فى مجموعها العدة الحربية التى يستعملها شاعرنا الذى يوطن نفسه فى المعارك على الموت . يقول :

بز امرىء مستبسل حاذر   للدهر جلد غير مجزاع

وكما هو واضح ، فصاحبنا لا يحذر الأعداء فقط بل يحذر عدواً آخر ربما كان أشد خطراً وأقوى فتكاً . وهذا العدو هو الدهر . وقد أشار إليه فى قوله كذلك :

. . . . إنّ الفتى   رهن بذى لونين خـداع

فالدهر ليس كأعدائه من البشر الذين يمكن أن يقابلهم وجهاً لوجه . لذا هو يتعامل معه بالحذر الذى يمكن أن يكون مسعفاً له فى الوقت الذى يكشر له فيه عن أنيابه .

ومن مظاهر قوة شخصية ابن الأسلت اعتداده بنفسه . فهو مقتنع بأنه يتميز عن غيره . يقول :

أسعى على كل بنى مالك   كل امرىء فى شأنه ساعى

فهو يرى فى نفسه أنه القيم على مصالح جل بنى مالك ، وهم قد عرفوا ذلك ورضوا به واطمأنوا إلى كفاءة أبى قيس ومقدرته . وهو أيضاً يعرف ذلك من

نفسه وأنه يتحمل ما لا يستطيع أن يتحمله إلا القليل لأنه يطيق والكثيرون لا يطيقون . ويقول :

أحفزها عنى . . . .

والضمير يعود إلى كتيبة الأعداء ويعمق هذا الاعتداء بنفسه قوله « عنى » وكأنه يشير إلى أنه عادة هدف للأعداء ، وهذا مما يجعل مهمته أكثر صعوبة ونجاحه فى دفع الكتيبة أحلى وقعاً فى النفوس ويقول :

ليس قطاً مثل قطىّ ولا الـ مرعىّ فى الأقوام كالراعى

فهو ينزل نفسه منزلة القطا وغيره منزلة القَطَى . وهو يرى نفسه راعياً والآخرين مرعيين . وينعت نفسه بأنه المرء الذى وطن نفسه على الهلاك فى قوله « بز امرىء مستبسل » . وكونه يشعر بمنزلته وقيمته ، لذلك هو حريص على أن يردف هذا الشعور بالعمل المساوى له . فهو لعلمه بعظم المسئولية الملقاة على عاتقه لا يكاد يخلع البيضة من على رأسه لأن الذين ينامون هم الذين يخلعونها وغيرها . أما هو فلا يكاد ينال غُمضاً وتأمل الشطر الثانى من قوله :

مَزَينة عنده ويهود قورى وقومى كل ذلكم كفيت

ففيه يفخر بأنه صخرة تحطمت عليها ، فى تلك المعركة ، جحافل الأعداء . وحتى حينما ينهزم شاعرنا السيئ الحظ فى القيادة ، هو لا ينسى الإشادة بفضله . يقول :

ماذا عليكم أن يكو ن لكم بها رحلا عِمارهْ
يحمى ذِماركم وبعـ ـض القوم لا يحمى ذِمارهْ
يبغى لكم خيراً وبُنْـ ـيان الكريم له أثارَهْ

فهو يخاطب قومه بقوله : ألا يكفيهم ويرضيهم أن يكون فى حيهم الكبير هذا الرجل العظيم — يعنى نفسه — الذى يلجأ إليه فى الشدائد فهو بمثابة

الرحل بل الرحلين فى الانتفاع والمنزلة وهو شجاع يحمى الذمار وكل ما يلزم حفظه والدفاع عنه بعكس كثيرين غيره من قومه وغيرهم .

وبالإضافة إلى دفعه الأذى هو يبنى لهم الكثير من الأمجاد التى تعود عليهم جميعاً بالخير الوفير .

وقد بلغ من اعتداد ابن الأسلت بنفسه أنه كان يعفو عن عدوه بعد أن يتمكن منه . يقول :

أسرت مخلداً فعفوت عنه . . . .

ومن صفات الشخص النبيل أن يعفو عند المقدرة . ما الذى يقصده المرء حينما ينازل خصماً ؟ إنّه يقصد أن يثبت تفوقه ، وليس شرطاً أن يكون فى صورة الانتقام ، وإن كان يعتبر دليلا حسياً عليه . لهذا يكتفى المقتدر الكبير النفس باطمئنانه إلى تفوقه واعتراف خصمه بذلك كى يعفو . وهذا ما فعل قائدنا .

واطمئنان فارسنا إلى حقيقة قدر نفسه يبدو كذلك فى تواضعه إذ يقبل دعوة الداعى إلى الوليمة أياً كان :

هل أبذل المال على حبه فيهم وآتى دعوة الداعى

فلم يمنعه شرف محتده وعلو منزلته من أن يعرف حقيقة قدر نفسه وأقدار الآخرين . ومَتَى يُنْزِلُ التواضع من منزلة الإنسان ؟ ويبدو من قوله « هل أبذل المال على حبه فيهم » الميل إلى فعل الخير . وهو هنا لا يكذب إنما يقول صراحة أنا رجل أحب المال ، ولكنه لا يصرح بهذا الحب إلا فى معرض الفخر بأنه كريم . وكونه يحب المال لأنه يعرف نفعه ومع ذلك هو يبذله للمحتاجين ، ذلك دليل واضح على تأصل الكرم فيه ، وعلى اتزانه وحسن تصرفه . فمعرفته لقيمة المال تحول بينه وبين التبذير فالإفلاس ، وهو آفة الكرم

كما هو معروف . ولأنه يدرك نفع المال هو يطلب من ابنه أن يُعْنى به ، ولأنّ حُبَّ الخير سجية فيه هو يطلب منه أن يخص المعدم بشيء منه . يقول :

بُنَيَّ متى هلكتُ وأنت حَيٌّ فلا تحرم فواضلك العديما
ومالك فاصطنعه وأصلحنه تجد فيه الفواضل والنعيما

فالشاعر هنا يوصى ابنه بأن يقوم بعد موته بما كان يقوم به ، وأن يصل ما انقطع من الأخذ بيد الضعيف والإحسان إلى الفقير وإغاثة الملهوف إلى غير ذلك من مكرمات ، كما ينصحه بأن يعنى بماله فيحرص عليه من الذهاب بسبب سوء العناية أو التبذير ، وأن ينميه ما وسعه ذلك فإنه سيجد فى ماله النعيم الذى ينشد وأسباب الفضل التى يقصد . وجملة « فلا تحرم » لها قيمتها ، إذ تدل على اتزان ابن الأسلت ، وكأنه يطلب من ابنه أن يلجأ إلى الحسنة بين السيئتين ، فلا يحرم المستحقين ولا يبذر تبذيراً . ويقول مخاطباً ابنه ، حاثاً له على معاونة المحتاجين :

أقيس إن هَلَكْتُ وأنت حى فلا تعدَمْ مواصلة الفقير

ويقول عن نفسه :

يبنى لكم خيراً وبنيان الكريم له أثَارَهْ

والواقع أن لفظة « خيراً » هنا التى تدل ولاشك على نية حسنة تجاه القبيلة تستوقفنا . ففى ظنى هى ليست من الألفاظ التى يكثر استعمال الشعراء لها فى تلك الفترة . والذى يغلب فى مثل هذا الموضع أن تستخدم الألفاظ الدالة على الفخر والمجد وما شاكلهما . ولكن شاعرنا يستعمل هذه اللفظة ، بل يلجأ إليها ويفر ، لأن موقفه ليس موقف قوة ، وهو الذى ينهزم من الخزرج دائماً ، إنما موقف ضعف ، ونفسيته منكسرة من ناحية ، وهو فى حاجة إلى إبقاء عاطفة قبيلته معه . لهذا هو يستخدم هذه اللفظة التى تظل تدل على أننا بصدد شخصية محبة للخير ، لقومها خاصة .

(ب) « النـــــاقة »

ابن الأسلت كأىّ شخصية عربية جاهلية لا يمكن أن يستغنى عن ناقته خاصة وقت السلم ، فليست حياته كلها حرباً . ولهذا كان للناقة نصيب فى شعره . وإن كنا نلاحظ أنه لا يتحدث عنها لذاتها ، وإنما فى معرض الفخر وإظهار قوة الشخصية . فهو فى معرض حث امرأته على السؤال عن أمجاده ومفاخره فى صيغة الاستفهام التقريرى يستمر :

وأقطع الخَرْق يُخاف الردى فيـه على أدماء هِلْواعِ
ذاتِ أساهيجَ جُمـالِيَّـة حُشَّتْ بجـارِىٍّ وأقطـاعِ
تُمطى على الأيْنِ وتنجو من الضـرب أمونٍ غيرِ مِظْلاعِ
كأنَّ أطرافَ ولِيّـاتِهـا فى شَمْأَلٍ حَصَّـاءَ زَعْزاعِ
أقْضِى بها الحاجات إنَّ الفتى رهْنٌ بذى لونين خداع

ويلاحظ أن الشاعر أسهب فى نعت ناقته بالسرعة فهى هلواع (سريعة) ذات أساهيج (ضروب مختلفة من السير) وتمطى على الابن ، (بمعنى الإعياء) وتنجو من الضرب ، وكأن أطراف ما تحت برْذعتها فوق ريح الشمال الصافية التى تحرك الأشياء وتزعزعها . وحتى قوله « أقضى بها الحاجات » يمكن أن يفهم منه حركتها وسرعتها . ووصف بعد ذلك لونها ، فهى أدماء ، وقوّتها ، فهى وثيقة كالجمل ، وخبرتها ، فهى يؤمن عثارها ، واستقامتها ، فهى غير مظلاع . ويلاحظ أن كونها أمونا وغير مظلاع مرتبط بسرعتها ووصفها فى القوة بالجمل ، مسعف لها فى المشى كذلك . ويبقى خارجاً عن دائرة الحركة لونها . وكأن أهم شىء راعه فيها سرعتها التى يمكن أن تجارى همته الكبيرة . وهو بعد ذلك يعنى بها فيزينها بأحسن أنواع القماش .



وهناك مقطوعة أخرى يهدف الشاعر من الإشادة فيها بالناقة الإشادة برجولته . يقول :

ثم ارعويتُ وقد طال الوقوف بنا فيها فصرت إلى وَجْناء شِمْلال
تُعطيكَ مَشْيًا وإرقالاً وَدأْدأةً إذا تسربلت الآكام بالآل
تَرْدِي الإكام إذا صَرَّت جنادبها منها بِصُلْبٍ وَقاحِ البطن عَمَّال
لم يمنع الشُّرْبَ منها غيرَ أن نطقت حمامة فى غصون ذات أوقال

وواضح أن الشاعر لا يتكلم عن ناقته مباشرة ، إنما يتكلم فى الجزء السابق الذى لم نعثر عليه ، عن الرسوم والأطلال التى وقف عندها الشاعر وتأملها . ولعله خاطبها وحاورها . وحينما لاذت بالصمت وخرجت به عن أى جواب ، عاد إلى عقله ، فكف من غربه ، ونزع عن جهله وغيه ، فصار إلى ناقته الشديدة القوية ، الخفيفة السريعة ، التى تعطيك فى أصعب الأوقات وأشدها حرارة : حينما يغطى الآل كل ما أحاط بك تعطيك أى لون من ألوان السير تريد . وهى حينما تصر الجنادب من شدة الحر تجدها أشد ما تكون نشاطاً وحيوية . فهى تضرب الأرض بخفها الشديد الصلابة المطبوع على الحركة والعمل . وهى تصبر على العطش أحسن ما يكون الصبر وأجمله . والشاعر حينما يكون قادراً على حمل ناقته على السير وقت الظهيرة ، حينما تتسربل الآكام بالآل ، ووقت الهاجرة ، حينما تصر الجنادب لشدة الحرارة ، إنما يشير من طرف خفى إلى شخصيته القوية ، وعزيمته الماضية ، وإلفه لخشونة العيش ، وهو ما يفترض عادة فى الرجال ، وحينما بلغت الناقة الماء وهمت أن تشرب ناحت بالقرب منها حمامة على غصن شجرة دوم[1] فهيج ذلك فى نفسها كوامن الشجن ، وأثار فيها

(١) يلاحظ أنه قد رسخ فى أذهان العرب العلاقة الوثيقة بين الحمامة والغصن المتحرك غالباً .



الحنين ، لعله إلى فصيلها ، فامتنعت أن تشرب وعاودت السير الجاد مرة أخرى مدفوعة بعاطفتها المشبوبة . ونحن نظن أن شاعرنا لم يكن بأقل من الناقة حنيناً حينما أصغى إلى المطوّقة ، وكأنه اكتفى بوصف حنينها ، أو هو قد ذهل بها عن نفسه .

وهناك إشارة إلى الجمال المصاعب فى قوله مفتخراً بقومه :

ألا فِدًى لهم أمى وما ولدت   غداة يمشون أرقال المصاعيب

فقومه فى اندفاعهم الشديد فى المعركة يشبهون الجمال المصاعب التى لم تذلل ولم تروض .



(ج) « الغـــزل »

قد يبدو الغزل أو الشعر فى المرأة لأول وهلة مناقضاً للفروسية ، إذ كيف يوفق الشخص فى الجمع بين الخشونة فى قمتها والرقة فى منتهاها . ويبدو أن هذين الاتجاهين اللذين يبدوان متناقضين يلتقيان فى نقطة واحدة وهدف واحد هو بز الأقران فى مجالين ضروريين من مجالات الحياة فالفارس مثلاً حريصٌ فى المعركة على التفوق وكذلك فى تعامله مع حواء الخالدة . هو حريص على أن يثبت وجوده وأن يشعر فى أعماقه بأنه تفوق على الآخرين فى اقترابه من المرأة التى يهوى ودنوِّه منها واستئثاره بها فى صورة من الصور . إنه يتغنى بجمالها ويصور حقيقة شعوره تجاهها ويبثها لواعج شكواه . وبما أن كل إنسان مضطر إلى أن يعبر عن رقته وتسامحه ولين جانبه ، وأن من أصلح الوسائل لذلك التعامل مع حواء الخالدة لذا هو حريص على أن يظهر أمامها بالمظهر اللائق كى يروقها منظره ، وأن يتصرف تجاهها بكل ما من شأنه أن يكسب قلبها ويملك عليها لبها . وربما عامل الآخرين معاملة معينة تحمده عليها إذا ما بلغتها ، وحتى الفروسية نفسها إنما يلجأ إليها البعض لعلمه أنها سوف تقربه من محبوبته ، أو ترفع من منزلته فى عينها وتثبت من حبه فى قلبها .

وشاعرنا أبو قيس بن الأسلت من هذا النوع من الرجال الذين هم بحاجة ماسة إلى أن يحولوا هذه الصفات المتقابلة إلى أعمال ، وقد حولها من قبل شجاعة واستبسالا وجلداً ، والآن هو يحولها حباً وفتنة وإعجاباً . حتما ليس بين أيدينا الشعر الذى صور فيه لواعج عشقه فهى حلقة مفقودة ، ولكننا وقفنا على مخاطبته لزوجه أكثر من مرة ، ثم دعنا نتأمل هذه المقطوعة :

رقودُ الضحى صِفْرُ الحشى منتهى المنى ... قَطُوفُ الخطى تمشى الهُوَيْنا فتَبْهَرُ

خَفيضةُ أعلى الصوت ليست بسَلْفعٍ ... ولا نَمَّةٍ خَرَّاجةٍ حين تظهر

ويُكرِمُها جاراتُها فيزرنَها ... وتعتلُّ عن إتيانهن فتُعذَر

وليس بها أن تستهين بجارة ... ولكنها من ذاك تحيا وتحصر



وإن هى لم تَقْصِدْ لهن أتينهـــا نواعِمَ بِيضاً مَشْيُهُنَّ التَّـــأَطُّر

ولعل الشـاعر هنا يتحدث عن زوجته . فهو يصفها بأحسن الصفات . إنها مترفة ، ومن مظاهر ترفها أنها رقود الضحى ليست بحاجة إلى أن تستيقظ مبكرة ، لأن هناك من يقوم بشئونها وشئون منزلها ، وأنها لم تألف السير على الأقدام ، ولو اضطرت إلى ذلك فإنها تمشى بتؤدة ، ومع ذلك يكاد ينقطع نفسها من الإعياء . وهى ضامرة البطن ، نحيلة الخصر ، رشيقة القد ، بلغت من الجمال غايته ، ومن الحسن نهايته فهى غاية الطلب ونهاية المنى .

وفى حديثها مع الأخريات لا يكاد يبين لها صوت ، وتعرف ذلك . فتضطر إلى رفع صوتها إلى منتهاه وهو صوت ليس خارجاً على المألوف ولا زائداً عن المطلوب . وهناك فقط يحس السامع أنه بدأ يسمعها وأخذ يفهمها . ولو فرض أنه أسىء إليها فلا يمكن بحال أن تقول هجراً ، فليس لسانها بِبَذِىّ ولا أخلاقها بشَرِسَة . وحين تتـكلم مع جاراتها تقتصر على ما يفيد ويسر ، فلا تنقل الحديث من جارة إلى جارة على جهة الإفساد والشر . وفى توجهها إليهم ، لو اضطرت لذلك ، تلزم جانب السمت والحشمة والوقار .

لـكل ما سبق هى تتمتع بمنزلة فريدة بين جاراتها ، فهى محط أنظارهن ، وموضع زيارتهن ، وهن يقبلن أىَّ عذر تقدمه فى عدم قدرتها مبادلتهن الزيارة . إنَّ الأعذار التى تقدمها ليست نابعة من احتقارها لهن واستهانتها بهن ، وإنما مرد ذلك إلى أنها تحس فى قرارة نفسها بأن بيتها أولى لها ، وتفقدَ شئونه ألصقُ بها ، وزوجها ومن يلوذ بها لهم حق عليها . فلو وجدت نفسها فى غير بيتها ولو بيت جاراتها ، لأحست كما لو أنها قامت بعمل يستحيى منه ، لذلك هى ترتاح أكثر لعدم القيام بتلك الزيارات .

وجاراتها يعرفن نقاء معدنها ، وطيب خلقها ، وخلوص نيتها ، فلا يدققن فى عدم مبادلتها لهن الزيارة فيعاودن زيارتها ويكررنها لها ، فتراهن يقصدنها لترفهن ورغد عيشهن وكرم محتدهن مانسات متبخترات يتثنين ليناً ورقة .

(د) « البيئـــة »

على الرغم من قلة الشعر الصحيح الذى ينسب إلى ابن الأسلت ، إلا أنه أمكن تبين تأثير البيئة العامة والخاصة فى هذا الشعر . فأنت لن تعدم إشارة إلى القطا والسباع والحيـات والإبل وبعض النواحى الاجتماعية ، كالرعى وعمليـات كيل التمر ، والطبيعية كالسيل والحِرار والآبار والريح والثريا وهكذا . يقول :

ليس قطاً مثل قطى ولا الـــ ـــمرعى فى الأقوام كالراعى

فهنا استفادة من البيئة إذ القطا طائر معروف فى الجزيرة العربية ، راقبه العربى وانعـكس فى آثاره الكثير من المعلومات عنه . وعملية الرعى معتادة فى الجزيرة أيضاً ، ولابد من شخص أو أشخاص يراقبون كل خطوات هـذه العملية ويقول :

لا نألم القتـل ونجزى به الـــ ـــأعداء كيل الصاع بالصاع

وكأن الشاعر يقول : إن الصاع مما يكال به التمر فى يثرب ، وهذا ثابت تاريخيا . ومعروف أن التمر من منتوجات المدينة المنورة الزراعية فهنا استفادة من البيئة الزراعية خاصة . ويقول :

نذودهم عنـا بمُسْتَنَّـةٍ ذات عَـرانين ودُفَّاع
كأنهم أسْدٌ لدى أشبل ينهِتْنَ فى غِيلٍ وأجْزاع

فالشـاعر فى البيت الأول يشبه كتيبة الأوسيين المندفعة تجاه الأعداء فى سَنَنٍ واحد لا تعرج على شىء بالسيل الأتِىّ الذى يروعك منه اندفاع أوله وتدفُّق باقيه وبيئة يثرب معروفة بهذه الأنواع من السيول ، فقد جاء فى آثار المدينة المنورة ما يلى[1] « تـكتنف المدينة أودية سيول ستة » :

---

(١) ص (١٥٦) .



(١) وادى العقيق . فى ضاحيتها الغربية .
(٢) وادى رنُوناء . فى ضاحيتها الجنوبية الغربية .
(٣) وادى بطحان . فى ضاحيتها الجنوبية .
(٤) وادى مُذَينيب . فى ضاحيتها الجنوبية الشرقية .
(٥) وادى مَهْزور . فى ضاحيتها الشرقية .
(٦) وادى قنـاة . فى ضاحيتها الشمالية الشرقية .

ويسيل العقيق ووادى قناة فى خارج المدينة ، والأربعة السيول الباقية ، تجتمع فى وادى بطحان من جنوبى المدينة وتسـير ممتزجة حتى تدخل المدينة من الأبواب الحديدية المعمولة لها قديماً تحت باب قباء بشرقيه . وتشق الأودية الأربعة المدينة ممتزجة ، وتسير إلى الشمال فى المسيل المعروف بأبى جيدة حتى تخرج من باب الهرابيخ ، وتفيض فى صَفاصف[١] إلى أن تبلغ سفح سَلْع[٢] ثم تَفضى إلى زُغابة[٣] . حيث تجتمع بسيلى العقيق ووادى قناة .

وفى البيت الثانى يستفيد الشـاعر من الحيوانات المفترسة المعروفة بها الجزيرة العربية بل المعروفة بها بيئة يثرب . فهو يشبه اندفاع كتيبة الأوس المزمجرة فى اتجاه الأعداء بتلك الأسد المعروفة بالشجاعة بداهة ، ولـكن الشاعر يجعل لهذه الأسد أشبلا ، وهذا أدعى إلى كونها أشد شراسة وأ كثر استماتة فى الدفاع ، ثم هى تزأر فى ذلك الشجر الملتف أو الوادى المتسع الذى ينبت الشجر . والأسد التى تألف الحياة فى هذه الأماكن المنعزلة تـكون أ كثر

---

(١) الصَّفصف : المستوى من الأرض .

(٢) سلع ، بالفتح : جبل عظيم شامخ فى شمال المدينة .

(٣) زغابة بالضم : آخر العقيق غربى قبر حمزة رضى الله عنه آثار المدينة ص ١٢٥ .





ضراوة وتوحشاً . وليس ببعيد عنا ذئب الخمر[1] ، فهو أخبث الذئاب وليس بخاف أن لصوت الأسد فى حالة هدوئها رهبة فكيف بها وقد أثيرت كما أثيرت الكتيبة الأوسية . ويقول مصوراً اندفاع الأوسيين بخيلهم فى المعارك .

بكل سلهبة كالأيم ماضية

فهو يستخدم فى هـذا التشبيه لفظة الأيم ، بمعنى الحية ، وبيئة المدينة معروفة بكثرة الهوام خاصة العرصة فقد « روى الحسن بن خالد المَذوانى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : نعم المنزل العَرصة لولا كثرة الهوام »[2] فالشاعر إذن يستفيد هذا التشبيه من البيئة ويقول فى نعت ناقته مستفيداً من طبيعة ريح الشمال الصافية بلا غبار فيها ، والتى تزعزع الأشياء وتحركها .

كأن أطراف ولياتها فى شمأل حصاء زعزاع

ويقول فى الثريا :

وقد لاح فى الصبح الثريا لمن يرى كعنقود مُلاحية حين نَوّرا

فأحَدُ أركان التشبيه الثريا التى يتألق نورها آخر الليل ، والتى يكون ضياؤها فى غايته ومنتهاه حينما تكون السماء صحواً ، وهذا غالب على ليالى المدينة المنورة . وثانى الأركان عنقود العنب الأبيض الذى فى حبه طول . والمدينة مشهورة بزراعة الأنواع الجيدة من العنب .

فالمشبه به والمشبه من واقع المنطقة ـ ويقول فى المدح مشيراً إلى صفاء سماء هذه المنطقة ، فتبدو النجوم أكثر لمعاناً والقمر أشد نوراً .

كبدر الليـل راق على النجوم

---

(١) الخمر بالتحريك : ما واراك من شجر وغيره .

(٢) معجم البلدان « العرصة » .



ويقول :

غِـراسٌ كالفتائن مُعْرَضَاتٌ   على آبارها أبداً عُطُونُ

فالشـاعر فى هذا البيت يصور الفسائل ، صغار النخل ساعة توضع فى الأرض حتى تَعْلَق ، بأنها كثيرة كثرة مفرطة ، حتى ليخيل إليك أنها امتداد لِحرار المدينة السود ، وبأن المـال إذا مر فيها يجد نباة يرعاه ، وكل ذلك بسبب غزارة المياه فى الآبار التى تجد حولها دائماً إبلاً قد بركت بعد أن شربت وارتوت . فهنا إشارة إلى النخل ، والمدينة معروفة بكثرته فيها ، وتشبيه له بالحرار ، وهى تحيط بالمدينة من أكثر جهاتها . وذكر للآبار الغزيرة المياه ، وما أكثرها هناك ، وللماشية ، والسكان يعنون بها . كما ألمح إلى الخصب من طرف خفى ، إذ تجد الماشية ما ترعاه دائماً . وكأنى بالشاعر حينما يقول :

يبنى لـكم خيراً وبنـ   ـيان الـكريم له إثارهْ

إنما يستفيد ، دون أن يشعر ، من عملية البناء ، التى يعرف بها المجتمع الزراعى المستقر . واليثربيون بصفة خاصة عنوا بالحصون والآطام .

(هـ) « المــدح »

هناك مقطوعة مدح وحيدة فى شعر ابن الأسلت ، من نصيب أبى أحيحة ، سعيد بن العاص بن أمية . ويبدو أن شاعرنا كان يقدر هـذا الرجل حق قدره . يقول :

وكان أبو أحيحة قد علمتم ... بمكة غـير مهتضم ذميم
إذا شد العِصـابة ذات يوم ... وقام إلى المجـالس والخصوم
فقد حَرُمت على من كان يمشى ... بمكة غير مُدّخَلٍ سقيم

ففيها إشارة إلى منزلة الممدوح العالية فى نفوس قومه ، وكان هو نفسه خليقاً بهذه المنزلة ، وإلى العِصابة وشدها فى صورة معينة ، وعادة المكيين فى قصرها على النخبة النـادرة الممتازة منهم . فلو قدر لنا أن رأينا فى تلك الفترة ماشياً فى مكة ، قد وضع العمامة على رأسه ، فهذا يعنى أنه أبو أحيحة من بنى عبد شمس . ولو قدر لشخصية غير متميزة أن تضع العمامة ، فهذا يعنى أننا بإزاء شخصية طفيلية وضعت نفسها فى غير موضعها ، شخصية دعى لئيم جهل قدر نفسه . . وكأنى بابن الأسلت يشارك المكيين إكبارهم للعمامة ويقرهم على هذا التصرف . كما يشير من طرف خفى لوجود الطبقات فى ذلك المجتمع ، وهى تبدأ بالأشراف وتنتهى بالأدعياء اللؤماء . وقد ذكر الشـاعر « المجالس والخصوم » وكأنه يعنى مجالس الندوة أو الشورى وفصلهم للخصومات فيها .

ويستمر فى نعته بالفصاحة ، مشيراً إلى الاعتماد فى الخطابة عليه ، خاصة أوقات المواسم التى يحرص فيها العرب على بَزّ الأقران فى هذا المضمار ، فـكان أبو أحيحة يتفوق على الجميع ، وكأنه لقمان فى بلاغته وحكمته . يقول :



وكان البَحْترِىُّ غداة جَمْعٍ   يُدافعهم بلقمانَ الحكيمِ
بأزْهَرَ من سَراةِ بنى لؤى   كبدر الليل راق على النجوم

ويعين أخيراً مكانة بيته العالية بين بيوتات قريش :

هو البيت الذى بُنيت عليه   قريش الغُرُّ فى الزمن القديم
وسطت ذوائب الفرعين منها   فأنت لباب سرهم الصميم

وواضح اعتراف الشاعر ضمناً بمجد قريش المؤثل عموماً .

(و) « فخـــر جمـاعى »

للفخر الجماعى نصيب فى شعر ابن الأسلت ، كما للفخر الفردى الذى مر فى شخصيته وهو حينما يفخر بقومه إنما يفخر بنفســه ضمناً فهو واحد منهم . يقول :

لقد رأيت بنى عمرو فما وَهَنُوا عند اللقـاء وما هموا بتكذيبِ
ألا فِدًى لهم أمى وما وَلَدَتْ غداة يمشون إرقال المصاعيب
بكل سَلْهبَةٍ كالأَيْم ماضيةٍ وكلٍّ أبيض ماض الحد مَخشوب

فيبدو أن الشـاعر واثق مما رأى ، وبصره لم يزغ ، والحقيقة هى التى أبصر . لذا يستخدم قد التى تفيد التحقيق مسبوقة بلام القسم . إنه رأى قومه بنى عمرو فى خضم المعركة ، وهم أبعد النـاس عن ضعف ووهن وعجز ، ولم يفـكروا قط فى التخلى عن إخوانهم وإلقاء العبء على غيرهم ، فاستمروا حتى نهاية المعركة وهمهم الانتصار على أعدائهم ، ولهذا نالوا حظاً من عض المعركة ونصيباً من المجد والفخار . والشاعر يلجأ إلى ما يمكن أن يسمى بالنسب القصير « بنى عمرو » وكأنه اعتقاد لفرط إعجابه ببطولة قومه بأن كل الناس يستوون فى معرفتهم والعلم بهم ، لذا هم خليقون فى نظره أن يفديهم بوالدته وأبنائهـا غداة اندفعوا تجاه الأعداء كالجمال الفَتِيّةِ غير المذللة ، هدفهم إبادة الأعداء وسحقهم . وأن خيلهم فى اندفاعها بقومه الذين فى أيديهم السيوف اللامعة المـاضية تشبه لنشاطها ومرحها وتلويها الحيات والأفاعى السامة القاتلة . وكأنه يقول : إن جيشنا يتكون من الفرسان والمشاة ، يكمل هؤلاء عمل أولئك(١)

---

(١) يخيل إلى أن أصل الـكلام « غداة يمشون أرقال المصاعيب ، وبكل سلهبة كالأيم ماضية ، بكل أبيض ماضى الحد مخشوب » .



وهذه الجزئية قيلت فى حرب « سُمَير » ويلوح أن من أهم الأسباب التى جعلت فارسنا يفخر هو أن انتصارهم لاحت نباشيره من أول النهار ، ويفهم هذا من لفظة « غداة » .

ويقول :

لا نألم القتل ونجزى به الأعـــداء كيل الصاع بالصاع

فجزء من طبيعة شخصية الأوسيين التفكير فى الأمور الإيجابية والتعلق بالأشياء الأكثر أهمية . فلو فرض أن شخصاً منهم قتل فإنهم لا يضيعون أوقاتهم الثمينة فى البكاء والعويل والحزن الذى لا يجدى ، بل يترجمون كل ذلك إلى عمل ، عن طريقه فقط يأخذون بثأرهم فتشفى صدورهم . والواقع أن الأخذ بالثأر عرف مقدس عند العربى لا يمكن أن يفرط فيه يقول الشاعر مخاطباً الخزرج :

فإمّا تقتلوه فإن عَمْرًا أعضَّ برأسه عَضْبٌ سَنينُ

بمعنى إن قدر لكم أن تقتلوا رئيس الأوس فى بُعاث ، حضَير الكتائب ، فإن زعيمكم عمرو بن النُّعمان البَيَاضِيَ قد قتل فى المعركة نفسها ضرباً بالسيف . ومعروف أن السيف لا يعمل إلا إذا تم التلاحم التام بين المتحاربين . ويقول :

نذودهم عنا بمستنة ذات عرانين ودُفّاع

كأنهم أسد لدى أشبل ينهِتن فى غِيل وأجزاع

حتى تجلَّت ولنا غاية من بين جَمع غير جُمّاع

فهم يذودون الأعداء بكتيبة تندفع كالسيل الأتِىّ ، وكأن كل واحد منهم أسد ارتفع زئيره يدافع عن أشباله . وحينما انتهت المعركة بانتصارهم ، كانوا حتى تلك اللحظة متجمعين فى هيئة كتلة واحدة ترفرف فوقهم الراية الدالة على هذا الانتصار ، وهو تجمع يدل على شجاعتهم .



والواقع أن من أهم الصفات التى يتحلى بها العرب فى حروبهم اعتمادهم على أنفسهم وعدم استعانتهم بالعبيد واللؤماء البتة . بل هم حينما يكونون أقوياء فإنهم يرفضون أن يذوبوا فى غيرهم ، أو يذوب غيرهم فيهم . وليس ببعيد عنا جَمَرات العرب ، واحدها جمْرة ، وهى القبيلة التى لا تنضم إلى أحد ، فكأنها النار المشتعلة المتأججة[1] وكأنى بابن الأسلت حينما يقول « من بين جمع غير جماع » إنما يشير إلى أن الأوس على الأقل فى ذلك النهارْ بالذات ، كانت هذه صفتهم[2] . ويقول :

لأكناف الجَرِيبِ فنَعْفُ سَلْمى ... فأحساء الأساحِلِ فالجناب
إلى روضات ليلى مخصبات ... عواف قد أصات بها الذباب
كأن الْبَكرَ والحَوْذانَ فيها ... وخُذَّاض التِّلاع الكهلَ غاب
أحقُّ شبابكم من حرب قوم ... له خلق وناحية وداب
وإن تأبَوْا فإن بنى سُلَيم ... وإخوتهم هوازن قد أنابوا
لأعدادِ المياه ليحضروها ... وبالحَوْلان كَلْبٌ والرِّباب
وأسفلَ منكم بَكْرٌ حلول ... على تِمْشارَ رُبَّيَتِ القِباب

فالشاعر هنا يخاطب غطفان ويزجرهم عن مناجزة قومه ويقول لهم صراحة : أنتم أهل رَعْيٍ لا حرب ، فالأولى بكم أن تهتموا بنعمكم وأن تتنقلوا بها بين تلك الأماكن التى سماها ، فذلك أجدى عليكم من محاربة أناس لا قبل لكم بهم وبأحلافهم . وهو يشير إلى ماهو معروف ومنطقِىّ ، من أن الشبان

(١) أنظر مثلا اللسان والتاج « جمر » .
(٢) عرفنا أن الأوس استعانت فى بعاث بغيرها .



أولى بالحروب من سواهم . ولكن الذين يوجه إليهم الخطاب هم أبعد الناس عن ميادين الشرف والبطولة . وهو إذ يخص الشباب بالذكر إنما يريد أن يقول : أنتم صورة طبق الأصل من شيوخكم الرعاة . وهو واحد من شعراء الجاهلية الذين تغلب عليهم روح التهديد والوعيد . فإن أصرت غطفان على الحرب فإنها فى نظر الشاعر ستجد نفسها قد سحقتها جحافل القبائل المناصرة لقومه سحقا .

(ز) « أســــلوبه »

إن الدارس لأسلوب أبى قيس بن الأسلت وطريقته فى التعبير يلاحظ ما يلى :

(١) البساطة والدقة .

(٢) رهافة الإحساس ودور الجملة الاعتراضية فى الدلالة عليه .

(٣) العبارة التبيينيّة .

(٤) الإلتفات .

(٥) المحسنات البديعية والتصوير البلاغى .

(٦) صيغ المبالغة .

وفيما يلى تفصيل ذلك : —

(١) « البســــاطة والدقة »

من أهم ما يميز الشعر القديم روعة البراءة وبراعة البساطة مع الدقة . فقد لاحظنا مثلاً على مطلع القصيدة العينية خلوه من التصريع والمتأمل بعد ذلك لمطالع الشعر الذى صح له والأبيات التى يظن أنها مطالع لا يجده فيها . وهذا دليل على البســاطة والاهتمام بالمعانى . وأنا لا أعنى أن التصريع ينفيها ولـكن عدم وجوده قد يدل عليها . ولنتأمل سوياً هذا البيت :

من يذق الحرب يجد طعمهـــا   مراً   وتحبسـه   بجعجـــاع

فقائدنا دخل فى حروب حقيقية ، وتبين أن هناك شعوراً واحداً يخرج به المنتصر والمنهزم على السواء ، وهو البغض لها . فاستعار لتوضيح هذه الحقيقة ألفاظاً بريئة بسيطة معبرة . الذوق والطعم والمرارة . إن الحرب عمل حسى ، ولا يكاد يشـذ واحد فى إدراك ملابسات هذا العمل ونتائجه . وهنا يستعير الشاعر للتعبير عن هذا الاتفاق عمل حاسة لا يكاد يشذ واحد فى إدراك نتائجها ،



هى حاسة الذوق التى انتهت إلى أن هنا طعماً مراً . وكأن الشاعر يقول : هذا هو شعور الجميع تجاه الحرب وشعورى أنا أيضاً . ويعود إلى استعارة الطعم فى البيت التالى مباشرة « فما أطعم غُمضاً » وهذا قد يكون دليلاً على أن لكل شاعر معجمه الخاص به .

وتأمل هذا التشبيه البسيط :

أخفرها عنى بذى رونق مهند كالملح قطاع

فلا أعتقد أن هناك شيئاً تقع عليه عين البدوى دائماً وبسهولة يضارع الملح فى البياض .

وتأمل دقة ملاحظته وتسامحه فى التعبير فى قوله :

ليس قطاً مثل قطى ولا الـ ـمرعى فى الأقوام كالراعى

فالقطاة فى ذاتها صغيرة الحجم ، ولكنها بالقياس إلى القطى كبيرة . والشاعر ينزّل نفسه ، طبعاً ، منزلة القطا ، فالكلام فى معرض الفخر . ويلاحظ أن هذه الجزئية الدقيقة « ليس قطاً مثل قطى » اقتطعت من البيت ودارت على الألسنة وتحولت إلى مثل ذائع قال عنه الميدانى « قال الأصمعى : يضرب فى خطأ القياس » .

وهو بيت يدل على بساطة قائله . فنحن بإزاء اتجاهين مختلفين فى التعبير . فهو قد بدأ بالقطا الأكبر حجماً وثنى بالأصغر . بينما حدث العكس فى « المرعى والراعى » هذا التغيير مسئول عنه القافية . ومع ذلك فنحن لا نحس أنه أحدث أى أثر غير نافع . وفوق هذا فإن المفهوم الحسى الوضعىّ من القطا والقطى والمرعى والراعى ليس مقصوداً هنا ، كما هو واضح ، إنما المقصود المفهوم المعنوى النقلى . وهذا يخفف من اختلاف الاتجاهين فى التعبير .

ويبدو أن الشاعر مطمئن إلى أن رأيه متفق عليه بين كل الأفراد

والجماعات . ويلوح ذلك من صيغة الجمع « الأقوام » ذات الدور الفعال . فقد يكون الشاعر أحس بأن قوله « ليس قطاً مثل قطى » تعبير ابتكره وأصاب فيه للفصل ، على الرغم من أن الفكرة بسيطة فى ذاتها . أما الفكرة الثانية فشىء متعارف عليه بين كل الأقوام من أن المرعى ليس كالراعى .

وتأمل دقته فى انتقاء لفظة أسماعى من قوله :

قالت ولم تقصد لقيل الخنا   مهلاً فقد أبلغت أسماعى

فالمعروف أن للمرء سمعاً واحداً . والشاعر كى يفهمنا انزعاج زوجه من كل طرقة وصلت إلى سمعها يأتى بصيغة الجمع دليلاً على أن الإيذاء كان بعدد الطرقات وكأن لكل طرقة سمعاً يؤذى . ويقول :

بُنَىّ متى هلكت وأنت حَىٌّ   فلا تَحْرِمْ فواضلك العديما

فهو يأتى بالتصغير فى موضعه « بنى »[1] ويستخدم « متى » التى يفهم منها الانتظار والتوقع . وكأننا بصدد شخصية مؤمنة بالواقع فلم يستخدم مثلا « إذا » التى تدل على ما يستقبل من الزمان المتضمنة معنى الشرط . ومن قوله « وأنت حى » يفهم مجاراة الشاعر للعادة من أن يموت الأب ويبقى الابن فالمثل يقول « من سره بنوه ساءته نفسه » ومع ذلك فنحن نلمح تفكير الشاعر واتزانه ودقته . فليس بمستبعد أن يموت الابن قبل أبيه . وهذا ما يفطن إليه الشاعر ويستدركه . وهو فى مخاطبة غطفان يخص شبابهم . فالرعى أولى بهم من الحرب . وفى حرمانهم من هذا الشرف حرمان لسواهم .

ويقول فى رثاء حُضَير الكتائب الأشهلى :

على أن قد فُجِعْتُ بذى حِفاظ   فعاودنى له حُزْنٌ رصينُ

---

(١) يلاحظ أن الشاعر يكبر المصغر إذا كان الموقف يستدعى ذلك « أبلغ أبا حِصْنٍ » .

فجملة فجعت ، ذات المعنى البعيد ، سبقتها قد التى تفيد التحقيق . وكأنه يقول : هذا موقفى لهول الصـدمة الأولى . وما لبث أن عاوده ذلك الحزن الرصين . وليس يخاف أن هذه الصفة لها وزنها الثقيل المعتبر .

وهو متزن فى كلامه . يقول :

لا نألم القتل ونجزى به الـ ـأعداء كيل الصاع بالصاع

فقد قال ما يقوله كل واحد . ولم يكل للأعداء إلا ما يقابل صاعهم .

(٢) « رهافة الإحساس ودور الجملة الاعتراضية فى الدلالة عليه »

ابن الأسلت كان يضرب به المثل فى الشاعرية والفروسية وقد قيل عنه[1] «وكان يعدل بقيس بن الخطيم فى الشعر والشجاعة » لنتأمل رهافة الإحساس فى هذين البيتين من مقطوعة له :

أبلغ أبا حِصْنٍ وبَعْـ ـض القول عندى ذو كـبَارَهْ
أن ابن أم المرء ليـ ـس من الحديد ولا الحجاره

وسبب نظمها أن أبا قيس الشجاع كان عاثر الحظ فى القيادة ، إذ ينهزم دائماً من الخزرج ، وكان بذلك هدفاً للوم أخيه . ونود أن نقف أولا عند جملة « أبلغ » التى يخاطب بها الشاعر شخصاً ما بقصد أن يقوم بتبليغ أخيه مافى نفسه . إن الشاعر لايجرؤ على مخاطبة أخيه مباشرة فضلا عن مقابلته أو مشافهته ، وذلك لعلمه ببشاعة الهزيمة التى يعتبر أول مسئول فيها ، إنما يجرؤ على مخاطبة هذا الوسيط بأن يقوم بدور التبليغ . وأيضاً هو إنما جرؤ على استخدام صيغة الأمر « أبلغ » لأنه فى اعتقادى إنمـا يعنى شخصاً غير موجود فى الواقع أمامه ثم هو واثق من أن له رأياً وجيهاً فى المسألة ، إذا وقف عليه كل شخص وجد له عذراً .

---

(١) ابن عسا ٦/٤٥٤ وقيس بن الخطيم شاعر أوسى جاهلى .



وشاعرنا لا يجهل أن الموقف موقف جد وحزم . فعلى الرغم من أن أخاه يكنى « أبا حُصَيْن » فى صيغة تصغير التحبيب أو التمليح ، إلا أنه يأتى به مكبراً « أبا حصن » وكأنه بهذا التغيير الذى يشد الانتباه إنما يطلب من أخيه أن يتهيأ لأخذ المسألة الآتية مأخذ الجد . فليس الوقت وقت تدليل أو تمليح يمكن أن يشتم من التصغير . مع العلم بأن التصغير هنا فقد معناه الوضعى . ولكن إحساس شاعرنا المرهف يتمثل غير شىء شيئاً .

ومع إيمان الشاعر بعدالة نظريته إلا أنه يعرف يقيناً أنه يقول عذراً لا فخراً . ومع معرفته بأنه إنما يجرؤ على ذكر مبرراته لأنه أبلغ نفسه عذرها ، وأن المجهود نفسه ، لو أسعفه الحظ حينما بذله لأفضى به إلى النصر ، إلا أنه على علم تام بالفرق بين الاعتذار والفخار . هذا الشعور يسجله فى الجملة الاعتراضية « وبعض القول عندى ذو كباره » فهناك بعض التعابير التى لا تدخل فى باب الفخار ، ومنها عبارات الأعذار ، وإن كان لها ما يبرر ذكرها ، بل فى بعض الأحايين ينبغى أن تعلن على الملأ . إلا أن بعض النفوس مرهفة الإحساس تتألم من ذكرها ، وتعتبرها أمراً ما كان ينبغى أن يوجد أصلا . فشاعرنا يأتى بهذه الجملة لينفى عن نفسه التهمة ببلادة الإحساس . وأود أن أقف عند قوله « عندى » الدالة على رهافة إحساسه . فكثير هم الذين وقعوا فيما وقع فيه شاعرنا ومع ذلك هم يكفيهم أن يعلم أنهم بذلوا غاية جهدهم ومنتهى طاقتهم ، كى يتخلصوا من كل أثر للهزيمة بعكس شاعرنا الذى يجد فى هذا الذكر ألماً يمضه .

وفى البيت الثانى يلوح كما لو أن وحوحاً أخاه قسا فى اللوم عليه . والشاعر يعرف أن أخاه وغير أخيه ، خليق بكلٍّ أن يسرف فى لومه . ولكنه واثق من أن ما حدث كان رغماً عنه ولم يكن سبباً فيه ، وهو يريد من أخيه الودود ،



اللائم المحق ، أن يعرف الأمر على حقيقته ، لذلك يعمد إلى الضرب على الوتر الإنسانى الخالد ، وتر رابطة الأمومة التى تربطهما ، وكأنه يريد تحريك هذه العاطفة كى تطرد من نفس وحوح فورة انفعاله تجاه الهزيمة فتهدأ هذه النفس ، ويصفو ذلك الذهن ، وعندها فقط يكون مستعداً لأن يوقن بأن ما حدث لا يمكن أن يحدث سواه . وفى قوله « ليس من الحديد ولا الحجارة » يقرر أنه بشر من دم ولحم ، له طاقة معينة يستفيد منها فى حدودها . فإذا كان الأمر الذى تتصدى له ليس فى متناول يدها فاتها وتقدمها . إنه إنسان وليس حديداً أو حجارة تتفوق طاقتهما على حجمهما . ولسان حال الشاعر يقول : إننى لم آل جهداً فى سبيل الظفر . وإن أنا أخفقت فلأننى بصدد أمر بعيد عن منتهى طاقتى . ويقول فى مخاطبة ابنه :

أقيس إن هَلَكْتَ وأنت حى فلا تعْدَمْ مواصلة الفقير

فهو فى طلبه من ابنه أن يصل الفقير لا يشق عليه ، ولا يريد أن يكلفه شيئاً فوق طاقته ، إنما يطلب منه ذلك فى رفق ، فيكتفى بتنبيهه إلى أنه يجمل به أن يكون بينه وبين الفقراء نوع من صلة وألا تنعدم هذه الصلة بكل صورها .

ويبدو إحساس شاعرنا المرهف فى الجملة الاعتراضية « ولم تقصد لقيل الخنا » من قوله :

قالت ولم تَقْصِدْ لِقِيلِ الخنا مهلاً فقد أبلغت أسماعى

فقد خشى أنه لو سجل مباشرة قول زوجه « مهلاً فقد أبلغت أسماعى » الذى يبدو لأول وهلة جافاً خشناً لاختلف موقفنا منها بين مؤيد ومعارض . وفى ذلك إساءة بالغة لها وخدش لإحساسها وكرامتها وهو ما لا يرضى عنه شاعرنا . لذلك أتى بهذه الجملة بين يدى قولها وبذلك ضمن موقفاً مؤيداً لها من السامعين جميعاً . إنها لم تقل هجراً وإنما ما يجب أن تقول المرأة العفيفة الطاهرة الذيل فى مثل هذه المناسبة .

(٣) « العبـارة التبيينية »

كما لجأ الشاعر إلى الجملة الاعتراضية فإنه لجأ إلى ما يمكن أن يسمى بالعبارة التبيينية . يقول فى البيت الثانى من العينية :

أنـكرَتْهِ حتى توسَّمتِهِ والحرب غول ذات أوجاع

ففيه يشير إلى إنـكار زوجته له لتغيره ، وأنها لم تتبين حقيقته إلا بعد إنعام نظر وإدامة تأمل . إنها عرفت السبب الذى من أجله تغير زوجها ، وهو الحرب ، ولـكننا نجهله ، وهنا يأتى الشـاعر بالعبارة التبيينية المتضمنة سبب إنـكارها له وتغيره . ومع أنه يذكر الحرب للمرة الأولى ، إلا أنه يتحدث حديث الواثق مما يقول ، المطمئن إلى اقتناع الجميع بصحة نتائجه . ومع أن هذه العبارة التى تشكل الشطر الثانى ، تعـكس شعور البغض من الشاعر للحرب ، لا أنه يحس فى أعماقه بأن فى النفس أشياء أخرى يمكن أن تقال عن الحرب البغيضة ، صورها فى البيت التالى مباشرة :

من يَذُقِ الحَرْب يَجِدْ طعمها مراً وتحبسـه بجعجـاع

ويقول مباشرة :

قد حَصَّت البيضـة رأسى فما أطعم غُمْضًـا غير تهجـاع

فهنا إشارة إلى أن البيضة استطاعت أن تحلق شعر رأسه . وهذا شىء لم تَجْرِ به العادة . فما هو السبب الحقيقى لذلك . إننا لو اجتهدنا فى تعيينه فقد نختلف . وهنا تسعفنا العبارة التبيينية « فما أطْعَمُ غُمضاً غير تهجاع » فانحصر السبب فى أن قائدنا الـكبير الهمة ، أيام حرب بعاث العديدة ، لا يكاد يخلع البيضة إلا للمدة الهينة التى تنال فيها عينه نوماً خفيفا .

ويقول فى نفس القصيدة :

أسعى على جل بنى مالك كل امرىء فى شأنه ساعى

ففي الشطر الأول إشارة إلى عمل الشاعر العادى الطبيعى الذى يقوم به .
وحينما نتأمل طبيعة العمل نجد أنه صعب وشاق ، فهو يعتبر المسئول الأول عن جل بنى مالك قومه . وهو فى سبيل شد انتباهنا إلى ضخامة العمل الذى قام به يأتينا بالشطر الثانى فى صورة عبارة تبيينية ، وظيفتها أن تجعلنا نتخيل مجموعة كبيرة من البشر اختلفت قدراتهم وتميز ابن الأسلت من بينهم بقدرته الخارقة على القيام بدور المسئول الأوّل عن كل شىء يتعلق بقبيلته . هو دور ينفرد به مع قليلين غيره . فهذه العبارة حركت أذهاننا وجعلتنا نعطى القيمة الحقيقية لسعى قائدنا . ويقول عن نفسه :

يبنى لكم خيراً وبنيان الكريم له أثارة

ففي عبارة « وبنيان . . . . » يبين الشاعر أنه كريم .
وبنيان الكريم عادة له أسسه الراسخة ، وارتفاعه الشاهق ، ونفعه المضمون .
ومكرمته هذه سيتوارثها الأبناء ، وبهذا يلازم الثناء الأموات والأحياء على السواء .

(٤) « الالتفات »

ابن الأسلت يلجأ إلى ما يمكن أن يسمى بالالتفات فى التعبير ولا يخفى أن الهدف من ذلك شد انتباه السامع . يقول مثلا .

قالت ولم تقصد . . . . .

أنكرتِهِ حتّى توسمته

فهنا التفات من ضمير الغائب إلى المخاطب . وبعد أن يستخدم ضمير المتكلم فى قوله :

أعددتُ للأعداء موضونة . . . .



إذا به يقول عن نفسه.

بزّ امرىء مستبســـل فهو يمنى بامرىء نفســـه

وبعد أن يقول : لا نألم القتل . . . .

نذودهم عنا . . . .

إذا به يقول : كأنَّهُمْ أُسْدٌ . . . .

وبعد أن يقول :

ثم ارعويت وقد طال الوقوف بنا . . . .

يقول : تُمْطيك مشياً وإرقالاً ودأداة

وهو بهذا الالتفات يريد أن يجعل السامع أو القارىء مشاركاً له مشاركة إيجابية . وفيما يختص بالمثال الأخير « تمطيك . . . » كأن المخاطب هو الذى تمطيه الناقة أنواع السير الذى يريد .

(٥) « المحسنات البديعية والتصوير البلاغى »

ويتصل بتفضيل المعانى أننا نجد المحسنات البديعية ، ولكنها تجىء الفينة بعد الفينة ، وبغير تكلف . ففى هذا البيت مثلا جناس :

أسعى على جل بنى مالك كل امرىء فى شأنه ساعى

وفيه وفى البيت التالى رد العجز على الصدر .

يحمى ذماركم وبعـــ ـــض القوم لا يحمى ذماره

وتأمل هذه الكنايات : « رقود الضحى » « صفر الحشى »

« قطوف الخطى » فى هذا البيت :

رقودُ الضحى صِفْرَ الحشى منتهى المنى قطوفُ الُخطى تمشى الهُوَيْنا فتَبْهَرُ

ولا ننسى أن حسن التقسيم أضفى على البيت جمالاً لا يخفى .



وتأمل هذا التشبيه البسيط « مهند كالملح قطاع » وتشبيهُ الثريا صباحا لنورها وإشراقها بعنقود عنب أبيض فى حَبّه طول :

وقد لاح فى الصبح الثريا لمن يرى كعنقود مُلاحية حين نوّرا

فقد قال الإمام عبد القاهر[1] « اعلم أن الشيئين إذا شبه أحدهما بالآخر كان ذلك على ضربين . أحدهما : أن يكون من جهة أمرٍ بَيِّنٍ لا يحتاج فيه إلى تأول » وضرب مثلا على ذلك بقوله : « . . . . أو جمع الصورة واللون ، كتشبيه الثريا بعنقود الكرم المنثور » وأضاف بأنك تقول عن هذا البيت[2] « إنه تشبيهٌ حَسَن » .

وكقوله :

وَسَطْتَ ذوائب الفرعين منها فأنتَ أُبابُ سِرِّهم الصميم

يستعير لقبيلة قريش فرعين ، يتكون كل من ذوائب[3] ، وتعتبر الذؤابة التى منها الممدوح واسطة العقد .

(٦) « صيغ المبالغة »

ويلاحظ على الشاعر جنوحه لاستخدام صيغ المبالغة فى ثنايا البيت والقافية ، خاصة صيغ فَعول ومِفعال ، وفَعّال ، فهذه رقود فى قوله :

« رقود الضحى صفر الحشى منتهى المنى »

وأمون ومظلاع فى قوله :

تُمطى على الأينِ وتنجو من الـ ـضرب أمونٍ غيرِ مِظلاع

---

(١) أسرار البلاغة ص ٦٤ .

(٢) أسرار البلاغة ص ٦٨ .

(٣) الذؤابة : الشعر الذى فى مقدم الرأس . أو أعلى كل شىء .



ويلاحظ أن الثانية أتت قافية . والواقع أنها تأتى قافية كثيراً . وإليك هذه النماذج :

أحفزها عنى بذى رونق مهند كالملح ِ قَطَّاع
ومجنأ أسمــــر قَـرّاع
جلد غـــير مِجْـزاع
وأقطع الخَرْق يُخاف الردى فيه على أدماء هِلواعِ

ويقول :

ثم ارعويت وقد طال الوقوف بنـا
فيهـا فصرت إلى وجناء شِمــلال
تَرْدى الإِكام إذا صَرّت جنادبهـــا
منها بصُلْبٍ وقاح البَطْنِ عَمَّـال

ثانيا

ديوان

أبي قيس صيفي بن الأسلت

الأوسي الجاهلي

علامات

ابن سعد : طبقات ابن سعد الكبرى .

ابن عسا : التاريخ الكبير لابن عساكر .

أثير : تاريخ ابن الأثير .

الأزمنة : الأزمنة والأمكنة للمرزوقى .

الأساس : أساس البلاغة للزمخشرى .

الأشباه : الأشباه والنظائر للخالديين .

ا ص : الإصابة لابن حجر .

الأمالى : أمالى القالى .

التاج : تاج العروس للزبيدى .

الجمهرة : جمهرة اللغة لابن دريد .

جم قرشى : جمهرة أشعار العرب للقرشى .

الحماسة : حماسة أبى تمام .

حم بحترى : حماسة البحترى .

الدار : دار الكتب .

الروض : الروض الأنف للسهيلى .

السمط : سمط اللآلى للبكرى .

السيرة : السيرة النبوية لابن هشام .

الصبح : صبح الأعشى للقلقشندى .

الصحاح : تاج اللغة وصحاح العربية للجوهرى .

الطبقات : طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحى .

العيون : عيون الأخبار لابن قتيبة .

غ : الأغانى .

ق : بولاق .

القاموس : القاموس المحيط للفيروزابادى

اللسان : لسان العرب لابن منظور .

م البلدان : معجم البلدان لياقوت .

م المرزبانى : معجم الشعراء للمرزبانى .

المحاضرات : محاضرات الراغب الأصفهانى .

هـ : معناه أن ما سيتلو منقول عن هامش المصدر .

(*)(١)

(١) لأكناف(٢) الجريبِ فنَعْفُ سَلْمَى
فأحسَاء الأساحِلِ فالجناب

(٢) إلى روضات ليلى مخصباتٍ
عوافٍ(٣) قد أصات بها الذباب

(٣) كأنَّ المَكرَ(٤) والحَوْذانَ فيها
وحُمَّاض التِّلاعِ الكهلَ غاب

(*) صفة جزيرة العرب ٢٠٥ (١ – ٧) وم البلدان (روضة ليلى) (٢) .
(١) « يزجر غطفان عن مناجزة الخزرج » الهمدانى .
(٢) الكنف ، محركة : الجانب والناحية . والجريب ، بالفتح ثم الكسر : اسم واد عظيم يصب فى بطن الرُّمَّة من أرض نجد . والنعف : ما انحدر من حزونة الجبل ، وارتفع من منحدر الوادى . وسلمى : أحد جبلىْ طيء ، أجأ وسلمى ، وجبل بقرب من فَيْد عن يمين القاصد مكة ، وهو لنبهان . . . . وليس به قرى إنما به مياه وآبار وقُلُب عليها نخل وشَجَر تِينٍ ، ولا زرع فيه . وسلمى أيضاً موضع بنجد . ياقوت . والأحساء ، جمع حِسْيٍ ، وهو موضع رمل تحته صلابة فإذا مطرت السماء على ذلك الرمل نزل الماء فمنعته الصلابة أن يغيض ، ومنع الرملُ السمائم أن تُنَشِّفَه ، فإذا بحث ذلك الرمل أصيب الماء . والأساحل : مسايل الماء . والجِناب ، بالكسر : موضع بعراض خيبر وسَلاح ووادى القرى . وقيل : هو من منازل بنى مازن . وقال نصر : الجناب من ديار بنى فزارة بين المدينة وفَيْد . ياقوت .
(٣) عواف : طال عشبها وعفا . ياقوت .
(٤) المَكْر والمُكور ، جمع المَكره ، وهى نبتة غبراء . والحَوْذان : =



(٤) أحَقٌّ شبابكم من حرب قوم ... له خُلُق وناحيــة ودا[1]ب

(٥) وإن تأبَوْا فإن بنى سُلَيْم ... وإخوتهم هوازن قد أنابوا[2]

(٦) لأعداد[3] المياه ليحضروها ... وبالحَوْلان كلب والرِّباب

(٧) وأسفلَ منكم بكر حلول ... على تِعْشـار[4] رُسَيَّتِ القِباب

(*)[5]

(١) أيا راكباً إمّا عرضت فبلغن ... مُغَلْغَلَة[6] عنّى لُؤىَّ بن غالب

= نبات طيب الطعم زهره أحمر فى أصله صُفْرة . والحُمّاض ، كرمان : عشبة ورقها كالهِنْدِبا ، حامض طيب ، ومنه مر ، وكلاهما نافع للعطش والصفراء والغثيان والخفقان الحار والأسنان الوَجِعة واليَرَقان . قاموس . والتلاع ، جمع تلعة ، وهى مسيل الماء .

(١) الدأب ، ويحرك : الشأن .

(٢) يقال : أناب إلى الله بمعنى عاد .

(٣) أعداد ، جمع عِد . والماء العد : الدائم الذى له مادة لا انقطاع لها ، مثل ماء العين وماء البئر . وذو حولان : من قرى اليمن . ياقوت .

(٤) تعشار ، بالكسر ثم السكون والشين معجمة : موضع بالدهناء .

(*) السيرة ١/٢٨٣ (١ — ٣٥) والروض ١/٢٢٣ (٤) والحيوان ٧/١٩٧ (٣٠ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٤) وابن عسا ٦/٤٥٤ (٥١ ، ٢٣) وكلها تنسب الشعر له . وسيرة ابن كثير ٢/١٩٥ (١ — ٣٥) وأشار إلى أن نسبتها له ونسبة السهيلى لها لأبى قيس بن صِرمة بن أبى أنس النجارى . و ١/٤٠ (٣٠ — ٣٤) .

(٥) يخاطب قريشا .

(٦) قال السهيلى . « المغلغلة : الداخلة إلى أقصى ما يراد لوغه منها » . ابن هشام وابن عسا « يا راكبا » .



(٢) رسولَ امرىء قد راعه ذات بينكم
على النَّـأْيِ محزونٍ بذلك ناصب[1]

(٣) وقد كان عندى للهموم معرَّس[2]
فلم أقض منهـا حاجتى ومآربى

(٤) ونُبِّئْتُكم شَرْجين[3] كل قبيلة
لهـا أَزْمَلٌ من بين مُذْكٍ وحاطب

(٥) أعيذكم بالله من شر صُنْعكم
وشر تبـاغيكم ودس العقـارب

(٦) وإظهـارِ أخلاقٍ ونجوى سقيمةٍ
كوخز الأشافى[4] وقْعُها حق صائب

(٧) فذكـرهم بالله أولَ وهـلة
وإحلال أحرام[5] الظبـاء الشوازب

(٨) وقل لهم والله يحكم حكمه
ذروا الحرب تذهبْ عنكم فى المراحب[6]

---

(١) الناصب : المعي المتعب .

(٢) المعرّس : المكان ينزل فيه المسـافرون فى آخر الليل ، يقفون فيه وقفة للاستراحة ثم يرحلون . ابن كثير « ولم » .

(٣) الشرج : الفرقة والنوع . والأزمل : الصوت المختلط . والمذكى : الذى يوقد النار . والحاطب : الذى يحطب لها . ابن هشام وابن كثير « نبيتكم » والسهيلى « لها زمل » .

(٤) الأشافى : جمع إشْفَى ، وهو المخرز .

(٥) أحرام الظباء : هى التى يحرم صيدها فى الحرم . والشوازب : الضامرة البطون .

(٦) المراحب : المواضع المتسعة .



(٩) متى تبعثوها تبعثوها ذميمةً
هى الغُول[١] للأَقْصَيْن أو للأَقارب

(١٠) تقطِّعُ أرحاماً وتُهلك أمّـةً
وتَبْرى السَّديف[٢] من سنام وغارب

(١١) وتستبدلوا بالأتحمية[٣] بعدها شَلِيلاً وأصداء ثياب المحارب

(١٢) وبالمسك والكافور غُبْرًا سوابغاً
كأن قتيرَيْها[٤] عيون الجنـادب

(١٣) فإياكم والحربَ لا تَعْلَقَنَّكم[٥]
وحَوْضاً وَخِيم الماء مرَّ المشـارب

(١٤) تَزَيَّن للأقوام ثم يرونها بعاقبة إذ بَيَّنَتْ[٦] أمَّ صاحب

(١٥) تُحرِّقُ لا تُشوى[٧] ضعيفاً وتنتحى
ذوى العز منكم بالحتوف الصوائب

---

(١) الغول : الهلاك .

(٢) تبرى : تقطع . والسديف : لحم السنام . والغارب : أعلى الظهر .

(٣) الأتحمية : ثياب رقاق تصنع باليمن : والشليل : درع قصيرة . والأصداء : جمع صدأ الحديد .

(٤) القتير : حلق الدرع ، شبهها بعيون الجراد .

(٥) لا تعلقنكم : لا تجعلنكم بمنزلة العلق ، بالتحريك ، وهو ما تتبلغ به الماشية من الشجر .

(٦) بينت : اتضحت . أم صاحب : أى عجوز كأم صاحب لك إذ لا يصحب الرجل إلا رجل فى سنه .

(٧) لا تشوى : لا تخطىء . وتنتحى : تقصد .



(١٦) ألم تعلموا ما كان فى حرب داحس[1]
فتعتبروا أو كان فى حرب حاطب

(١٧) وكم قد أصابت من شريف مسوَّدٍ
طويل العِماد[2] ضيفه غير خائب

(١٨) عظيم رماد النار يُحمد أمرُه
وذى شيمة محضٍ كريم المضارب[3]

(١٩) وماءِ هريق فى الضلال كأنَّما
أذاعت[4] به ريح الصَّبا والجنائب

(٢٠) يخبركم عنها امرؤٌ حَقٌّ عالم
بأيامها والعِلْمُ عِلْمُ التجارب

(١) داحس : فرس كان لقيس بن زهير جَذِيمة العبسى وبسبب سباق أُجرى بينه وبين الغبراء ، فرس كانت لحذيفة بن بدر الفزارى الذبيانى نشبت الحرب التى تحمل اسميهما . ابن هشام ٢٨٦/١ وحاطب ، هو ابن الحارث الأَوْسِىّ ، كان قتل يهوديا كان جاراً للخزرج فقتله فُسْحُم - فسحم : أُمُّه ، وهى امرأة من القَيْن بن جَسْر - الخزرجى فى نفر من الخزرج ، فوقعت الحرب بين الأوْس والخزرج ، وقد انتصرت الخزرج . ابن هشام ٢٨٨/١ .

(٢) العِماد : ما يُسند به ، جمعه عَمَد وعُمُد ، والأبنية الرفيعة ، الواحدة عمادة ابن كثير « وكم ذا » .

(٣) كريم المضارب : يعنى أن مضارب سيوفه غير مذمومة ولا راجعة عليه إلا بالثناء والوصف الحسن .

(٤) أذاعت به : بددته . والجنائب : جمع جنوب ، يريد ريح الشمال والجنوب .



(٢١) فبيعوا[1] الحراب مِلمُحارب واذكروا
حسابكم والله خير محاسب

(٢٢) ولىَ مرئٍ اختار ديناً فلا يكن
عليكم رقيباً غَيْرَ رب الثواقب[2]

(٢٣) أقيموا لنا ديناً حنيفاً فأنتم لنا غاية قد يُهتدى بالذوائب[3]

(٢٤) وأنتم لهذا الناس نور وعصمة تُؤَمُّون والأحلام غير عوازب[4]

(٢٥) وأنتم إذا ما حُصِّل الناس جوهر
لكم سُرّة[5] البطحاء شُمّ الأرانب

(٢٦) تصونون أجساداً كراماً عتيقة
مهذَّبة الأنساب غَيْرَ أشائب[6]

(٢٧) ترى طالب الحاجات نحو بيوتكم
عصائب[7] هَلْكَى تهتدى بعصائب

---

(١) بيعوا : اشتروا .

(٢) الثواقب . النجوم .

(٣) الذوائب : الأعالى . ابن عساكر « فبلغوا لنا قادة قد تقتدى » .

(٤) عوازب : بعيدة .

(٥) سُرّة الشيء : خيره وأعلاه . والأرانب ، جمع أرنبة ، وهى التى فيها ثقب الأنف .

(٦) غير أشائب : غير مختلطة . ابن كثير « أنساباً كراما » .

(٧) العصائب ، جمع العصابة ، بالكسر ، وهى الجماعة من الرجال أو الخيل أو الطير . ابن كثير « يرى » .



(٢٨) لقد علم الأقوام أن سراتكم
على كلّ حالٍ خيرُ أهل الجباجب[١]

(٢٩) وأفضلهُ رأياً وأعلاه سُنَّةً[٢]
وأقوله للحقّ وسط المواكب

(٣٠) فقوموا فصلُّوا[٣] لربكم وتمسحوا
بأركان هذا البيت بين الأخاشب

(٣١) فعندكم منه بلاء مُصَدّق
غداة أبي يكسوم[٤] هادى الكتائب

(٣٢) كتيبته بالسّهل تُمْسى ورَجله
على القاذفات[٥] فى رءوس المناقب

(٣٣) فلما أتاكم نصرذى العرش ردهم جنود المليك بين ساف[٦] وحاصب

---

(١) الجباجب : المنازل واحدها جُبْجُبة .

(٢) السنة ، بالضم : السيرة والطبيعة .

(٣) صلوا : ادعوا . والأخاشب : الأخشبين ، وهما جبلا مكة ، جمعهما مع ما حولهما . الحيوان « قوموا . . . . . . وتعوذوا » .

(٤) أبو يكسوم ، وهو أبرهة الأشرم الحبشى ، وهو وجماعته أصحاب الفيل . ابن هشام وابن كثير ج ٢ « ومُصَدّق » .

(٥) القاذفات : أعالى الجبال . والمناقب : الطرق فى أعالى الجبال واحدها منقبة . ابن كثير « تمشى » . وجاء فى السيرة . قال ابن هشام : أنشدنى بيته « وماء هريق » ، وبيته : « فبيعوا الحراب » ، وقوله : « ولى امرىء فاختار » ، وقوله : « على القاذفات فى رءوس المناقب » أبو زيد الأنصارى وغيره .

(٦) السافى : الذى أصابه الغبار . والحاصب : الذى أصابته الحصباء ، وهو على معنى النسب كما قالوا تامر ولابن . الحيوان « فلما أجازوا بطن نعمان ردهم جنود الإله » .



(٣٤) فولَّوْا سِراعاً هاربين[1] ولم يؤب
إلى أهله ملحُبْشِ غيرُ عصائب

(٣٥) فإن تَهْلِكوا نَهْلِكْ وَتَهْلكْ مواسم
يُعاش بها : قول امرىء غيرِ كاذب

(*)[2]

(١) لقد رأيت بنى عمرو فما وَهَنوا[3]
عند اللقـــاء وما همُّوا بتكذيب

(٢) ألاَ فِدًى لهم أمى وما ولدت غداة يمشون إرقال المصاعيب[4]

(٣) بكل سَلْهَبَةٍ[5] كالأيْمِ ماضيةٍ
وكل أبيضَ ماضى الحدِّ مخشوب

(* *)[6]

---

(١) الحيوان « نادمين » .

(*) غ ٣/٢٥ .

(٢) فى حرب سُمَيْر « ثم التقوا مرة أخرى عند أُطُم بنى قينقاع ، فاقتتلوا حتى حجز الليل بينهم ، وكان الظفر يومئذ للأوس على الخزرج » أبو الفرج .

(٣) الوهن : الضعف فى العمل ويحرك .

(٤) المصعب : الفحل الذى لم يركب فصار صعباً ، والجمع مصاعب ومصاعيب .

(٥) السَّلهبة من الخيل : الطويلة على وجه الأرض . و « أصل المخشوب : الحديث الطبع ، ثم صار كل مصقول مخشوبا ، فشبهها بالحية فى انسلالها » . أبو الفرج .

(* *) غ « ق » ١٥/١٦٥ والدار ٣/١٤ (١) .

(٦) أسر الشاعر فى بعاث « مخلد بن الصامت الساعدى ، أبا مسلمة بن مخلد » وخلى سبيله وأنشأ يقول :



(١) أَمَرْتُ [١] مُخَلَّدًا فعفوت عنه وعند الله صالح ما أتيت
(٢) مزينةُ [٢] عنده ويهود قَوْرى وقومى كل ذلكم كفيت

(*)

(١) فمَنْ ورِث [٣] الغنى فليصطنعه
صنيعَتَهُ وَيَجْهَدْ كلَّ جهدِ
(٢) ولا يمنعه من حَمْـدٍ وشكر
ولا يبخل به عن فعـل رُشد

(* *)

---

(١) جـ ٣ « أجرت . . . . . . ودفعت . . . . . » .

(٢) جاء فى أثير ١/٦٨٠ بشأن « بعاث » ثم إنَّ قريظة والنضير جددوا العهود مع الأوس على المؤازرة والتناصر ، واستحكم أمرهم وجدوا فى حربهم ، ودخل معهم قبائل من اليهود غير من ذكرنا . فلما سمعت بذلك الخزرج جمعت وحشدت وراسلت حلفاءها من أشجع وجهينة ، وراسلت الأوس حلفاءها من مزينة . . . . . « وجاء فى غ ١٧/٧٢ دار للمعارف » وبعاث : من أموال بنى قريظة فيها مزرعة يقال لها قَوْرى » .

(*) حم بحترى ٣٤٤ وقد جاء الأول ضمن أربعة أبيات فى الأصمعيات ١٢٧ منسوبة لأحيحة بن الجلاح الأوسى الجاهلى .

(٣) الأصمعيات « نال » .

(* *) الأشباه والنظائر ١ / ٢١ (١ — ٤) و غ « ق » ١٥ / ١٦٦ والخزانة ٣/٣٧٧ (٣ ، ٤) والعقد ٤/٢٦٦ وديوان المعانى ١/٢٤٣ والعيون ٣/٢٥ ومحاضرات الراغب ٢/٢٣ وابن عسا ٦/٤٥٧ واص ٤/٣٠٣ (٣) والأساس (أطر) (٣ ، ٥) .



(١) رقود الضُّحى صِفْرُ[١] الحشى منتهى المُنى
قطوفُ الخُطى تمشى الهُوَيْنا فتَبْهَرُ

(٢) خفيضة أعلى الصوت ليست بِسَلْفَعٍ[٢]
ولا نَمَّةٍ خَـرَّاجةٍ حين تظهـر

(٣) ويكرمنهـا[٣] جاراتهـا فيزرنَهـا
وتعتل عن إتيانهن فتُعْذَر

(٤) وليس بهـا[٤] أن تستهين بجارة
ولكنهـا من ذاك تحيا وتحصر

(٥) وإن هى لم تَقْصِدْ لهُن أتينهـا
نواعِمَ بيضـاً مشيُهن التَّـأطُّر[٥]

---

(١) الصفر : الخالى ، والمراد أنها ضامرة البطن . والحشى : ما دون الحجاب مما فى البطن من كَبِدٍ وطِحال وكَرِشٍ وما تبعه ، أو ما بين ضِلْعِ الخَلْفِ الذى فى آخر الجنب إلى الورِك ، أو ظاهر البطن ، أو الخصر . دابة قطوف : إذا ضاق مشيها . والمراد أنها متقاربة الخطى . والبهر بالضم : انقطاع النفس من الإعياء . والبهر ، بالفتح : التكليف فوق الطاقة .

(٢) السلفع : الجريئة البذية الصخابة . والنمة : المرأة التى تنقل الحديث من قوم إلى قوم على جهة الإفساد والشر . ورجل خراج ولاج : كثير الظرف .

(٣) ابن عسا ، وقول أبى قيس : ويكرمنها جاراتها ، هكذا روى لنا على لغة من يأتى بعلامة الجمع مع تقدم الفعل وفراغه من الضمير ، والأفصح ويكرمها . غ والخزانة والعسكرى وابن قتيبة « ويكرمها » و الأساس « وتشتاقهـا » والعقد والراغب « ويكرمها . . . . وتغفل » وابن عسا واص « وتـكرمها » .

(٤) غ والخزانة « وليس لها . . . ولـكنها منهن تحيا وتخفر » .

(٥) تأطرت المرأة : تثنت فى مشيتها .



(*)

(١) وقد لاح فى الصُّبح الثُّريَّا كما ترى
كعنقود مُلَاحِيَّةٍ(١) حين نَوَّرا

(*)(٢)

(*) اللسان والتاج والصحاح (ماح) وغ « ق » ١٥/١٦٦ والخزانة ٣/٣٧٨ والنخل والكرم للأصمعى ٢٥ والأزمنة ٢/٢٣٥ والمصون ٢٨ وابن عسا ٦/٤٥٧ . وفى أسرار البلاغة ٨٥ لقيس بن الخطيم وط مصر ٧٩ هـ، ٥٩ م ص ٦٨ .

(١) الملاحى ، بالضم : عنب أبيض فى حبه طول . وقال ابن عسا ص ٤٥٨ «وقول أبى قيس بن الأسلت : كعنقود ملاحية ، وروى لنا هذا الخبر بتشديد اللام ، ولغة العرب الفصيحة السائرة ملاحية . يقولون : عنب ملاحى . ورواة الحديث والأخبار الذين لا علم لهم بكلام العرب يغلطون فى هذا كثيراً وفيما أشبهه . وأرى أن الذى أوقعهم فى هذا أنهم لما رأوا فى هذا البيت ظهور الزحاف فيه إذا روى مخففاً على الوجه الصحيح وسلامته من ذلك إذا شدد ، ثم لم يعلموا جواز الزحاف واطراده ، وظهور استعماله ، وأن أكثر الشعر مزاحف ، وما لا زحاف فيه قليل نزر جداً . وهذا البيت من الطويل الثانى ، الزحاف فيه ذهاب ياء مفاعيلن ورده إلى مفاعلن ، ويسمى هذا النوع من الزحاف قبضاً لذهاب خامس حروف الجزء ، ويسمى هذا الجزء الذى لحقه الزحاف مقبوضاً » وقد جاءت اللفظة بالتخفيف فى اللزومية الخامسة والسبعين ١/٣٧٧ فى البيت الذى يهاجم فيه المعرى ابن الأسلت :

ما الثريا عنقود كرم ملاحى ولا الليل يانع غربيب

غ والخزانة والمصون والجرجانى « لمن رأى » والمرزوقى والأصمعى « لمن يرى » وابن عسا « فى الجو الثريا لمن يرى » .

(*) أثير ١/٢٨٠ وليدن ١/٤٩٩ .

(٢) يخاطب أخاه وحوح بن الأسلت ، وكنيته أبو حصين ، الذى لام الشاعر على انهزامه دائماً من الخزرج .



(١) أبلغ أبا حصن وبعـ ـض القول عندى ذو كباره[1]

(٢) أن ابن أم المرء ليـ ـس من الحديد ولا الحجاره

(٣) ماذا عليكم أن يكـ ـون لكم بها رحلا عماره[2]

(٤) يحمى ذماركم وبعـ ـض القوم لا يحمى ذماره[3]

(٥) يبنى لكم خيراً[4] وبنـ ـيان الكريم له أثاره

(*)

---

(١) كبر لكرم كبراً ، كعنب ، وكبراً بالضم وكباره بالفتح نقيض صغر فهو كبير .

(٢) العمارة أصغر من القبيلة أو الحى العظيم .

(٣) الذمار : ذمار الرجل ، وهو ما يلزمه حفظه وحياطته وحمايته والدفع عنه وإن ضيعه لزمه اللوم .

(٤) من معانى الخير بالكسر : الشرف ، والأثارة : البقية من العلم تؤثر والمكرمة المتوارثة .

(*) الأمالى ١٣/١ (١ — ٧) قيس بن رفاعة وحم بحترى ٦ (٢ ، ٣ ، ٥ ، ٦) أبو قيس بن رفاعة الأنصارى . والسمط ٥٤ (٢) و ٥٦ (١) قيس بن رفاعة فى الموضمين . و م المرزبانى ٣٢٢ (٢ — ٧ ، ١) قيس بن رفاعة الواقنى الأوسى والخزانة ٣٧٩/٣ (٢ ، ١ ، ٧) قيس بن رفاعة الواقنى الأوسى الأنصارى « بتصرف » والصحاح (حوج) (٥ ، ٦) قيس بن رفاعة واللسان (درك) (٧) و (حوج) (٥ ، ٦ ثم ٢ — ٧) قيس بن رفاعة فى الموضمين . والتاج (حوج) (٥) و (درك) (٧) قيس بن رفاعة فى الموضمين والصبح ١ / ٢١٦ (١ ، ٢) ابن قيس بن رفاعة الأنصارى . و غ « ق » ١٥ /١٦٧ (١ — ٤ ، ٧ ، ٦) لابن الأسلت . واص ٣/ ٤٩٢ (٢ ، ١ ، ٧) قيس بن رفاعة الواقنى .



(١) من يَصْلَ نارى بلا ذنبٍ[1] ولا تِرَةٍ
يصل بنـار كريم غير غـــدار

(٢) أنا النذير لكم مِنّى مجاهرةً
كَىْ لا ألام[2] على نَهْىٍ وإنذار

(٣) فإن[3] عَصَيْتم مقالى اليوم فاعترفوا
أن سوف تلقون خِزْياً ظاهر العـار

(٤) لترجِعُنَّ أحاديثاً ملعَّنَةً[4]
لهو المقيم ولهو المدلج السارى

(٥) من كان فى نفسه حَوْجاء[5] يطلبها
عندى فإنِّى له رهن بإصحـار

---

(١) السمط ٥٧ « وقوله : بلا ذنب ولا ترة يقول : من صلى بنارى ، أى من جاورنى ولم يكن لى عنده ترة ولا أذنب على ذنباً صلى بنار كريم لا يغدر جاره ولا يخفر ذمته ، والنار تضرب مثلا للمجاورة » السمط واللسان والصبح « يصلى بنار » .

(٢) السمط ٥٧ « وقوله : كى لا ألام على نهى : أراد على ترك نهى فحذف » بحترى كى لا ألام على « قذع » والسمط « منى مناصحة » والمرزبانى « كيلايلام » والخزانة « كى لا نلام » واللسان والصبح « وإنذارى وغ وأعذار » .

(٣) المرزبانى « وان . . . . . حربا » .

(٤) المرزبانى « وملعبة » وغ « لتتركن . . . . وملعبة عند المقيم وعند المدلج » .

(٥) حوجاء : حاجة . وقال البكرى ٥٧ : « وقوله : فإنى له رهن بإصحار : أى لا أستتر عنه ولا أتحصن منه ، بل أبدو له فى البراز وأصحر إليه فى الفضاء السهل » بحترى « يطلبها منى » والمرزبانى « عوجاء » .



(٦) أُقيمُ عوجته(١) إن كان ذا عِوَج
كما يقوّم قِدْح النَّبعة البـــــاري

(٧) وصاحب الوتر ليس الدَّهرَ مدرِكَه(٢)
عنـــدى وإنِّى لدراك بأوتار

(*)

(١) فلست لحاصن إن لم ترونا نجالدكم كأنا شَرْب خمـر

(٢) ملكنا(٣) النـاس قد علمت مَعَدٌّ
فلم تُغلَبْ ولم تُسْبَقْ بوِتر

(٣) همَمنا بالإقامة ثم سِرْنا بسير حذيفةِ الخير ابن بَدْر(٤)

(* *)(٥)

---

(١) البحترى « نخوته . . . . قدح النبع بالنـار » والصحاح « نخوته » وهى الرواية الأخرى للسان .

(٢) المرزبانى « يدركه » والخزانة واص « يدركه لأوتارى » واللسـان « بأوتارى » وغ « وإنى لطلاب لأوتار » .

(*) الطبقات ١٨٩ وهى من قصيدة لقيس بن الخطيم فى ديوانه ١٢٠ – ١٢٤ .

(٣) الديوان « ورثنا المجد » .

(٤) حذيفة بن بدر : هو حذيفة بن بدر الفزارى ويضرب به المثل فى سرعة السير . قال ابن قتيبة فى عيون الأخبار ١٣٨/١ « ومن السير المذكور مسير حذيفة ابن بدر ، وكان أغار على هجائن النعمان بن المنذر بن ماء السماء ، وسار فى ليلة مسيرة ثمان » .

(* *) غ « ق » ١٦١/١٥ والخزانة ٣٧٥/٣ واص ٥٠٣/٣ فى ترجمـة « قيس ابن صيفى » .

(٥) يخاطب ابنه قيس بن أبى قيس بن الأسلت .



(١) أُقَيْسُ إن هلكتُ وأنت حَيٌّ
فلا تَعْدَمْ مواصلَةَ الفقير[١]

(* * *)[٢]

(١) ا ص « يعدم فواضلك » .

(* * *) المفضليات ٢٨٤ (١ – ٢٤) وجم قرشى ١٢٦ (١ – ٥ ، ١٣ ، ٦ — ٨ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٠ ، ١١ ، ١٦ — ٢١ ، ٢٤) وأثير ١/ ٢٨٤ (١ — ٨) و غ « ق » ١٥/ ١٦٠ (٤ ، ٥ ، ٣ ، ١٢) و ١٦١ (١ — ٣) والطبقات ١٨٩ (٤ ، ٥) وحم بحترى ٤٠ (٤ ، ١٢) والحيوان ٦ / ٤١٩ (٤) و ٣/ ٤٦ (٩ ، ١٠) والحماسة ٧٧١ (٤) و ٨٣٦ (٣) والروض ٢/٢٧٢ (١٤) والأمالى ٢ / ٢١٩ (١٠) والمصايد والمطارد ٦١ (٤) والسمط ٢٦٩ (١٢) و ٨٣٧ (١٠ — ١٢) ومجمع الأمثال ٢/١٠٩ (١١) ومجالس العلماء للزجاجى ٢٣٦ (٢) والأشباه ١/١٣٦ (٣ ، ٤ ، ٦ ، ٧ ، ١٦ — ١٨) والمعانى الكبير ٣٩٤ و ١٢٥١ (٣) و ١١٠٦ (٨) و ١٠٣٣ (٧) والعقد (شرفية) ٣/١٠٧ (٤ ، ٥) واللسان (بلغ) (١) و (جنأ) (٧ ، ٨) و (رعى) و (قطا) (١١) و (سعى) (٥) و (عمم) (١٥) و (حصص) و (هجع) (٤) و (جمع) (٣) و (جمع) (١٥) و (قرع) (٨) و (هيع) (١٠) والتاج (زعزع) (٢٢) و (حصص) (٢٢) ثم (٤) و (بيع) (١٨) و (هلع) (١٩) و (ودق) (٧ ، ٨) وفكاك (١٠) و (هجع) (٤) و (جمع) (٣) و (جمع) (١٥) و (سمع) و (بلغ) (١) و (قرع) (٨) و (هيع) (١٠) و (صدق) (٨) و (دهن) (١٠) و (قطا) (١١) والصحاح (جنأ) و (ودق) (٨) و (حصص) و (هجع) (٤) و (جمع) (٣) و (فكاك) (١٠) و (عمم) (١٥) والأساس (جمع) (١٥) و (سعى) (٥) والصناعتين ٣٨٦ (٥) والجمهرة ١/١٣٤ (٣) ١/٦٠ (٤) و ١/١١٤ و ١١٧ (١٠) والمحاضرات ٢/١٦٦ (٤) وتهذيب الألفاظ ٣٧ (١٣ ، ١٥) و ٤٤ (١٣) وشرح أدب الكاتب ٢٤٩ (١٣ ، ١٥) وابن عسا ٦/٤٥٤ (٣ — ٥ ، ١١ ، ١٨) .

(٢) الخزانة ٣/٣٧٥ « وقال هشام بن الكلبى : كانت الأوس قد أسندوا =



(١) قالت ـ ولم تَقْصِدْ لِقِيلِ الخنـا   مهلاً فقد أبلغت[1] أسمـاعى
(٢) أنـكَرْتِهِ حين توسَّمتِهِ[2]   والحرب غول ذات أوجاع
(٣) من يَذُقِ الحَرْب يَجِدْ طعمها   مُرًّا وتحبسـه بجَعْجـاع[3]
(٤) قد حَصَّت[4] البيضة رأسى فما   أطعم غُمْضًـا غير تَهْجـاع
(٥) أسعى على جلِّ[5] بنى مالك   كل امرىء فى شأنه ساعى

= أمرهم فى يوم بعاث إلى أبى قيس بن الأسلت ، فقام فى حربهم وآثرها على كل أمر ، حتى شحب وتغير ، ولبث أشهراً لا يقرب امرأته ، ثم إنه جاء ليلة فدق على امرأته ففتحت له ، فأهوى إليها بيده فدفعته وأنـكرته : فقال : أنا أبو قيس . فقالت : والله ما عرفتك حتى تـكلمت ، فقال فى ذلك أبو قيس القصيدة التى أولها :

(١) اللسان « أبلغت : انتهيت فيه وأنعمت » قرشى « لقول الخنا » والتاج (بلغ) « لقد أبلغت » الخنا من الـكلام : أفحشه .

(٢) توسمت فيه الخير : أى تفرست . والغول : المنية والداهية ، والغوائل : الدواهى . قرشى « حق » وأثير « واستنـكرت لوناً له شاحباً » وهى رواية غ بحذف الواو .

(٣) الجعجاع : الموضع الضيق الخشن . أثير و غ والخالديان والصحاح والتاج (جعع) وابن قتيبة وابن دريد وابن عسا (وتتركه بجعجاع) والمرزوقى « وتبركه » واللسان (جعع) « يذق طعمها مراً وتبركه » .

(٤) الحص : حلق الشعر . والتهجاع : النومة الخفيفة . القرشى وأثير و غ وابن سلام والبحترى والجاحظ والمرزوقى والخالديان والصحاح (حصص) (وهج) والعقد والتاج (هجع) وابن دريد والراغب الأصفهانى وابن عسا « فما أطعم نوما » والتاج (حصص) واللسان (حصص) و (هجع) « فما أذوق نوما » .

(٥) جل الشىء : معظمه . العقد « حى » .



(٦) أعددت للأعداء موضونة[١] فَضْفاضة كالنِّهْىِ بالقاع

(٧) أحفزها[٢] عنّى بذى رونَقٍ مُهَنَّد كالملح قطّاع

(٨) صَدْقٍ[٣] حسام وادقٍ حَدُّه ومُجْنإٍ أسمر قرّاع

(٩) بزّ[٤] امرىءٍ مُسْتَبْسِلٍ حاذر للدهر جَلْدٍ غير مِجْزاع

(١٠) الحزم والقوة خير من الـ إدهان[٥] والفَكَّة والهاع

---

(١) الموضونة : الدرع التى نسجت حلقتين حلقتين . والنهى : الموضع الذى له حاجز ينهى الماء أن يفيض منه . قرشى « مترصه كالنهى » .

(٢) حفزه يحفزه : دفعه من خلفه ، وبالرمح طعنه ، وعن الأمر أعجله وأزعجه . قرشى « أبيض مثل الملح » وأثير « كاللمع » والرواية الأخرى للتاج « أكفته عنى » .

(٣) الصدق : الصلب المستوى من الرماح والرجال والكامل من كل شىء . الوادق : الحديد من السيف وغيره . والمجنأ ، بالضم : الترس . وجعله أسمر لأنهم كانوا يتخذون الترس من جلود الإبل . أثير « ومنحن » وفى الصحاح (ودق) حل كل من الشطرين مكان الآخر .

(٤) البز : السلاح ، كالبزة بالكسر . مستبسل : موطن نفسه للموت . والجزع ، محركة : نقيض الصبر . ومجزاع : صيغة مبالغة .

(٥) اللسان « المداهنة والإدهان : المصانعة واللين . وقيل : المداهنة إظهار خلاف ما يضمر . والإدهان : الغش . . . . الجوهرى : والمداهنة والإدهان : كالمصانعة . وفى التنزيل العزيز « ودوا لو تدهن فيدهنون » والفكة : الحمق والاسترخاء فى الرأى . والهاع : سوء الحرص مع الضعف . قرشى « الكيس والقوة . . . من الإشفاق » والحيوان « الكيس . . . من الإشفاق والفهة » والصحاح والتاج (فكك) « من الإشفاق » والتاج (هيع) « خير من الأوهان والضعف والهاع » ورواية التاج الأخرى واللسان (هيع) « الكيس والقوة خير من الإشفاق والفهة » والتاج (دهن) « والفهة » .



(١١) ليس قُطاً مثل قُطَىٍّ[١] ولا الـ ـمرعى فى الأقوام كالراعى
(١٢) لا نألم القتل[٢] ونجزى به الـ أعداء كيل الصّـاع بالصـاع
(١٣) نذودهم[٣] عنا بمُسْـتَنَّةٍ ذات عَـرانين ودُفّاع
(١٤) كأنهم أُسْـد لدى أشْبُلٍ ينهِتْن[٤] فى غِيـلٍ وأجزاع
(١٥) حتى تجلَّت ولنـا غاية[٥] من بين جَمْعٍ غير جُمّـاع
(١٦) هلاّ سألتِ الخيل[٦] إذ قلّصت ما كان إبطائى وإسراعى

---

(١) قطى تصغير قطاة . و « ليس قطاً مثل قطى مثل ، قال الأصمعى : يضرب فى خطأ القياس » الميدانى .

(٢) بحترى « الحرب ونجزى بها » .

(٣) الجواليقى « نذودهم : ندفعهم ونمنعهم . والمستنة : الكتيبة الماضية على سنن واحد لا تعرج على شىء . وعرانين القوم رؤساؤهم ومتقدموهم فى الفضل والشجاعة . والعرانين : الأنوف ، وبها شبه السادة . ويقال للشىء إذا كان شديد الدفع يتدافع : له دفاع : ويجوز أن يكون دفاع جمع دافع مثل كافر وكفار وهم الذين يدفعون الأعداء » قرشى « بين يدى فضفاضة فخمة » وابن السكيت ٣٧ « تذودهم عنا لمستنة » و ٤٤ والجواليقى الأخرى « بين يدى رجراجة فخمة » .

(٤) النهيت : صوت للصدر ، وأكثر ما توصف به الأسد . والغيل : شجر ملتف يستتر فيه الأسد كالأجمة . والجزع : الوادى المتسع الذى ينبت الشجر . قرشى « كأننا أسد » .

(٥) الجواليقى « ولنا غاية : أى جماعة . وغاية الجيش ورايته واحد . والجماع : الفرق من ههنا وههنا . يقول : ذلك الجمع منا لم يستعن بأحد غيرنا » قرشى ثم التقينا ولنا » والصحاح والأساس واللسان (عمم) « ثم تجلت » والتاج واللسان (جمع) « حتى انتهينا » .

(٦) المراد بالخيل فرسانها . وقلصت : انكمشت وانقبضت وانزوت . قرشى « فسائل الأحلاف إذ قلصت » والخالديان « سألت القوم » .



(١٧) هل أُبْذِلُ المال على حُبّه فيهم[١] وآتى دعوة الداعى

(١٨) وأضْرِبُ القونَسَ[٢] يومالوغى بالسيف لم يَقْصُرْ به باعى

(١٩) وأقطع الخرق[٣] يخافُ الرّدى

فيه على أدماء هِلْواع

(٢٠) ذات أهاسيجَ[٤] جُمالِيَّة حُشِت بِحارِيَّ وأقطاع

(٢١) تُمطى[٥] على الأين وتنجو من الضـ

ـرب أمونٍ غيرِ مِظْلاع

(٢٢) كأنَّ أطرافَ وَلِياتها[٦] فى شَمْأَلٍ حَصّاء زَعْزاع

---

(١) قرشى « فيكم » .

(٢) القونس : عظيم تحت الناصية ، وأعلى الرأس . قرشى « بالسيف فى الهيجاء لم . . . . . » .

(٣) الخرق : الأرض البعيدة ، مستوية كانت أو غير مستوية : والفلاة الواسعة . والهلواع من النوق : السريعة الحديدة المذعان . قرشى « فتلك أفعالى وقد أقطع الخرق » .

(٤) الأساهيج : ضروب مختلفة من السير . وناقة جمالة ، بالضم : وثيقة كالجمل . والحارى : أنماط نطوع تعمل بالحيرة تزين بها الرحال . والأقطاع ، جمع قطع ، بكسر فسكون ، وهى البساط أو النمرقة أو طنفسة يجعلها الراكب تحته وتغطى كتفى البعير . وحشت بها : ضمت من جانبيها بها . قرشى « ذات شقاشيق . . . زينت بحيرى » والنطع ، بالكسر وبالفتح وبالتحريك وكعنب : بساط من الأديم ج أنطاع ونطوع .

(٥) قرشى تمطو على الزجر وتنجو من السوط » .

(٦) الولية، كغنية : البرذعة أو ما تحتها . والحصاء من الرياح : الصافية بلاغبار فيها. وزعزاع : تزعزع الأشياء وتحركها.



(٢٣) أُزَيِّنُ الرَّحْلَ بمعقومة[١] حاريّةٍ أو ذات أقطاع
(٢٤) أقضى بها الحاجات ، إنّ الفتى رهنٌ بذى لونين خدّاع[٢]

(*)

(١) إذا جُمادى منعت قطرها زان جَنابى[٣] عَطَنٌ مُعْصِفُ

(**)

(١) نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأى مشترك

(***)

(١) يقول أبو قيس وأصبح غادياً ألا ما استطعتم من وصاتى فافعلوا

---

(١) معقومة ، من العقم وهو الوشى . يريد طنفسة موشاة . وجاء فى هامش المفضليات « وهذا البيت والذى قبله لم يروها أبو عكرمة ، وزادها أحمد بن عبيد » .

(٢) يريد أنه للزوم الدهر له وعدم انفكاكه منه منزلة الرهن .

(*) البيت ينسب له ويرجح أنه مع آخرين لأحيحة بن الجلاح الأوسى الجاهلى فانظر ديوانه .

(٣) الجناب «بالفتح : الفناء وماقرب من محلة القوم . والعطن : نخيله الراسخة فى الماء الكثيرة الحمل . والمعصف : الكثير الزرع . وقيل : الكثير التبن . والشاعر يصف عطنه وأن له بساتين وأرضين يزرعها ويسقيها بالسوانى فلا يعبأ بتأخر المطر وانقطاعه .

(**) نور القبس للمرزبانى ١ / ١١٢ وهذا البيت فى الواقع تحريف لبيت عمرو بن امرىء القيس الخزرجى الذى يختلف عن هذا فى « والرأى مختلف » أنظره مثلا فى الخزانة ٤ / ٢٠٥ وجم قرشى ص ١٢٧ من قصيدة لعمرو .

(***) السيرة ١ / ٥١٠ (١ — ٦) والعقد ١ / ٢٦٦ (٢، ٣، ٦) و ٢ / ٤٣٢ (٢، ٣، ٦، ٤، ٥) واص ٢ / ٤٨٧ (١، ٢، ٦) وكلها تنسب الأبيات لأبى قيس صرمة بن أبى أنس وانفرد ابن كثير فى السيرة ٢ / ١٩٠ بنسبتها كاملة لابن الاسلت كما يوحى بذلك السياق فإن كلامه السابق عن أبى قيس بن الأسلت وعذره =

(٢) فأوصيكم بالله والبر والتُّقى وأعراضِكم(١)، والبِرُّ بالله أول

(٣) وإن قومُكمْ سادوا فلا تَحْسُدُنَّهم(٢)
وإنْ كنتم أَهْـلَ الرياسة فاعدِلوا

(٤) وإن نزلت إحدى الدواهى بقومكم
فأنفسَـكم دون العشـيرة فاجعلوا

(٥) وإن ناب(٣) غُرْمٌ فادحٌ فارفُقوهم
وما حمَّلوكم فى المُلِمَّـات فاحمِـلوا

(٦) وأن أنتم أمعرتم(٤) فتعفَّفوا
وإن كان فضل الخير فيكم فأفضِـلوا

= أن الخلط كبير بين ابن الأسلت وأبى قيس صرمة بن أبى أنس وابن كثير من صفحة ١٨٥ حتى صفحة ١٩١ خلط من هذا الخلط فالمعروف أن هذه المعلومات مستفادة من سيرة ابن هشام . وقد جاء فى سيرة ابن هشام ١ / ٤٣٧ الكلام عن ابن الأسلت وفى ١ / ٥١٠ فما بعدها الكلام عن أبى قيس صرمة . وقد تداخلت هذه المعلومات عند ابن كثير فى الصفحات التى أشرنا إليها .

(١) العرض : النفس . والعرض ، وجمعه أعراض : مايفتخر الانسان به من حسب أو شرف . عقد ج ١ « أول وهلة وأحسابكم » وهى رواية ج ٢ مع حذف الفاء من فأوصيكم « واص » « أوصيكم بالخير والبر والتقى : . وان كنتم أهل الرئاسة فاعدلوا » .

(٢) العقد « فلا تحسد ونهم وان كنتم أهل السيادة » .

(٣) ناب : رجع . ورفق فلانا نفعه كأرفقه . العقد « وان طلبوا عرفا فلا تحرموهم » . ورواية السيرة الأخرى « وإن ناب أمر فادح فارفدوهم » .

(٤) أمعرتم : افتقرتم . رواية السيرة الأخرى وابن كثير « امعزتم » بالزاى أى أصابتكم شدة والعقد « وان أنتم أعوزتم فتعففوا وان كان فضل المال » .



(*)

(١) ثم ارعَوَيْتُ(١) وقد طال الوقوف بنا
فيها فصِرتُ إلى وجناء شِمـلالِ

(٢) تُعطيك مشياً وإرقالاً(٢) وَدَأْدَاةً
إذا تسربلت الآكام بالآل

(٣) تَرْدِى(٣) الأكام إذا صَرَّتْ جنادبها
منها بصُلْبٍ وقاح البطنِ عمّـال

(*) الخزانة ٣ / ٣٧٣ (١ — ٤) والتاج (وقل) (٤) .

(١) البغدادى « ارعويت ، أى رجعت . والوجناء : الناقة الشديدة . وقيل : العظيمة الوجنتين . والشملال ، بالكسر : الخفيفة السريعة . وضمير فيها للدار . يريد أنه طال وقوفه على دار حبيبته وليس فيها أحد » .

(٢) البغدادى « والإرقال : مصدر أرقلت الناقة ، إذا أسرعت . وكذلك الدأداة ، مصدر دأدأت بمعناه ، وهما نوع من العدو . وقوله : إذا تسربلت الخ . الظرف متعلق بقوله تعطيك ، يريد : وقت اشتداد الحر فى الظهيرة ، لأن الآكام ، وهى الجبال ، إنما تتسربل بالآل ، وهو السراب ، عند الظهيرة . والسربال : القميص . وتسربل أى لبس سربالا . والآكام : فاعله ، وهو جمع أكم ، بضمتين ، كأعناق جمع عنق وهو جمع أكام بالكسر ، مثل كتب جمع كتاب ، والإكام أيضا جمع أكم بفتحتين ، مثل جبال جمع جبل . وأكم أيضاً جمع أكمة بفتحات ، يقول : إنها نشيطة فى العدو وقت الهاجرة .

(٣) البغدادى « وقوله : تردى الإكام الخ ، من ردى الفرس ، بالفتح ، يردى رديا وردیانا : إذا رجم الأرض رجماً ، بين العدو والمشى الشديد . . . وإذا متعلق بقوله تردى . وصرّت : صوتت . والجنادب ، جمع جندب ، وهو نوع من الجراد يصوّت عند اشتداد الهاجرة . وقوله : بصلب ، أى بخف صلب شديد . والوقاح بالفتح ، هو الصلب ، ومنه الوقاحة لصلابة الوجه . يريد أن خفها ظهره وبطنه صلب . وعمال ، بالفتح : مبالغة عامل . وهو المطبوع على العمل » .



(٤) لم يمنعِ الشُّربَ منها غَيْرَ أن نطقت حمامة فى غصون ذاتِ أوقال

(*)

(١) سبحوا الله شرق(١) كلَّ صباح طلعت شمسه وكلَّ هلالِ

---

(١) البغدادى « وقوله : لم يمنع الشرب منها الخ : ضمير منها راجع للوجناء ، والشرب ، مفعول يمنع، وغير فاعله ، لـكنه بنى على الفتح جوازاً لإضافته إلى مبنى . وروى الرفع أيضاً . ونطقت : صوّتت وصدحت ، عبر عنه بالنطق مجازاً . و : فى : بمعنى على و : ذات : بالجر ، صفة لغصون ،لا بالرفع صفة لحمامة كما وهم ابن المستوفى فى شرح شواهد المفصل . والأوقال ، جمع وقل ، بفتح الواو وسكون القـاف . قال الدينورى فى كتاب النبات : قال أبو عبد الله الزبير بن بكار : المقل إذا كان رطباً لم يدرك فهو البهش ، فإذا يبس فهو الوقل ، والدوم : شجر المقل . وأنشد هذا البيت أهـ . وبهذا التفسير قد أصاب المحز وطبق المفصل ، وبه يضمحل التعسف الذى ارتـكبه شراح الشواهد . قال ابن السيرافى فى شرح شواهد إصلاح المنطق : يريد لم يمنعها أن تشرب إلا أنها صوتت حمامة فنفرت ، يريد أنها حديدة النفس ، خامرها فزع وذعر لحدة نفسها ، وذلك محمود فيها اهـ . وقد علق البغدادى ص ٣٧٨ على البيت الأخير بقوله « البيت الشاهد كونه لابن الأسلت هو ما ذكره أبو حنيفة الدينورى فى كتاب النبات ، وهو فى معرفة الأشعار أديب غير منازع فيها . وقد نسبه الزمخشرى فى الأحاجى إلى الشماخ ، وقد راجعت ديوانه فلم أجده فيه . ونسبه بعض شراح شواهد كتاب سيبويه لرجل من كنانة ونسبه بعض فضلاء العجم فى شرح أبيات المفصل تبعا للزمخشرى فى شرح أبيات الـكتاب لأبى قيس ابن رفاعة الأنصارى ، أقول : لم يوجد فى كتب الصحابة من يقال له أبو قيس بن رفاعة ، وإنما الموجود قيس بن رفاعة وهو واحد أو اثنان » .

(*) انفرد ابن كثير فى السيرة ٢ / ١٩٠ (١ — ١٥) بنسبتها لابن الأسلت . كما يوحى بذلك السياق السابق ، وما عداه لصرمة بن أبى أنس وذلك فى للسيرة ١٥/٥١١ (١ — ١٥) والروض ٢/٢٢ (١) والجمهرة ٢/٧ (١٢) .

(٢) السهيلى : « الشرق : طلوع الشمس ، وهو من أسمائها أيضاً وكذلك الشرق » بفتح الراء . وكل هلال ، بالنصب على الظرف ، أى وقت كل هلال .



(٢) عالم السِّرِّ والبيـــان لدينا[١]
ليس ما قال ربنا بضـــــلال

(٣) وله الطير تستريد[٢] وتأوى في وُكور من آمنات الجبال

(٤) وله الوحش بالفلاة تراها في حِقاف[٣] وفي ظلال الرمال

(٥) وله هَوَّدت[٤] يهود ودانت كل دين إذا ذَ كَرْتَ عضال

(٦) وله شَمَّس[٥] النصارى وقاموا كلَّ عيد لربهم واحتفـال

(٧) وله الراهب الحبيس تراه رَهْنَ بؤسٍ وكان ناعم[٦] بال

(٨) يا بَنِيَّ الأرحام لا تقطعوها وصلوها[٧] قصيرة من طِوال

(٩) واتقوا الله في ضعاف اليتامى ربمـا يُسْتَحَلُّ غير الحلال

(١٠) واعلموا أن لليتيم وليـــا عالماً يهتدى بغـير السُّؤال[٨]

(١١) ثم مالَ اليتيم لا تأ كلوه إنَّ مال اليتيم يرعاه والى

---

(١) ابن كثير « جميعا » .
(٢) تستريد : تذهب وترجع . وابن كثير « تستزيد » بالزاى .
(٣) الحقاف ، جمع حقف ، وهو المعوج من الرمل ، أو الرمل العظيم المستدير أو المستطيل المشرف .
(٤) هودت : تابت ورجعت وداء عضال : معى غالب . ابن كثير « مخافة من عضال » .
(٥) شمس : تعبد .
(٦) ابن كثير « أنعم » .
(٧) أى صلوا قصرها من طولكم بالبر والصلة .
(٨) ابن « كثير » سؤال .



(١٢) يا بَنِيَّ التُّخومَ لا تَخزِلوها ... إن خزل التخوم ذو عُقَالِ[1]

(١٣) يا بَنِيَّ الأيام لا تأمنوهـا ... واحذروا مكرها ومر الليـالى

(١٤) واعلموا أن مرها لنفاد الـ ... ـخلق ما كان من جديد وبالى

(١٥) واجمعوا أمركم على البر والتقـ ... ـوى وترك الخنـا وأخذ الحلال

(*)

(١) أربُّ[2] الناس أشياءُ ألَمَّت ... يُلَفُّ الصعب منها بالذلول

(٢) أربَّ الناس أمَّا إذ ضَلِلْنـا ... فيسرنا لمعروف السبيـل

(٣) فلولا ربُّنا كنَّا يهودا ... وما دين اليهود بذى شُكول[3]

(٤) ولولا ربُّنا كنَّا نصارى ... مع الرُّهبان فى جبل الجليـل[4]

(٤) ولـكنا خُلِقنا إذ خُلِقنـا ... حنيفاً[5] ديننا عن كلِّ جيل

---

(١) داء ذو عقال : لايبرأ منه . وهناك صورة جاءت كثيراً « لاتظلموها إن ظلم » وهذا البيت خاصة ينسب لأحيحة بن الجلاح وفى الحقيقة ليس له .

(*) السيرة ١ / ٤٣٨ وسيرة بن كثير ٢ / ١٨١ (١ — ٦) وابن سعد ٤ / ٢ / ٩٥ (٣ — ٦) وابن عسا ٦ / ٤٥٦ (٣ — ٦ ، ١ ، ٢) والروض ١ / ٢٧٣ (٣) وم البلدان (الجليل) (٣ — ٥) .

(٢) ابن عسا « فيارب العباد الله موسى تلاقى الصعب منا » .

(٣) ابن كثير « إن » وابن عسا « ويارب العباد إذا » .

(٤) الشكول ، جمع شـكل ، وشـكل الشىء ، بالفتح مثله . السهيلى « ولولا ربنا » وابن سعد « ولوشاربنا » وابن عسا « لوشا » .

(٥) الجليل ، بالفتح ثم الـكسر وياء ساكنة ولام أخرى: جبل الجليل فى ساحل الشام يمتد إلى قرب حمص . أنظر ياقوت . ابن سعد « ولوشاربنا » وابن عسا ولوشاربنا . . . . الخليل » .

(٦) ياقوت « حنيف » .



(٦) نسوق الهَدْى ترسُف مذعناتٍ ... مُكَشَّفَةَ المناكب فى الجُلول[١]

(*)

(١) رجموا بالغيب كيما يعلموا ... من عديد القوم ما لا يعلمُ

(**)

(١) بُنَىَّ متى هَلَكتُ وأنت حىٌّ ... فلا تَحْرِم فواضِلَكَ العديما

(٢) ومالَكَ فاصطنعهُ واصْلِحَنْهُ ... تجِدْ فيه الفواضل[٢] والنعيما

(***)[٣]

(١) وكان أبو أُحَيْحَةَ قد علمتم ... بمكة غير مهتضم ذميم

(٢) إذا شَدَّ العِصابة[٣] ذات يوم ... وقام إلى المجالس والخصوم

---

(١) الجلول جمع جل ، بالضم وبالفتح ، وهو ماتلبسه الدابة لتصان به ابن سعد « تكشف عن مناكبها الجلول » وابن عسا « يكشف عن مناكبها الجلول » .

(*) جم قرشى ص ٩

(**) حم بحترى ٣٤٤ .

(٢) الفواضل : الأيادى الجميلة .

(***) البيان ٩٨/٣ (١ — ٧) وأنساب الأشراف ١٤١/١ (١ — ٣ ، ٦ ، ٧ ، ٥) .

(٣) يمدح أبا أحيحة سعيد بن العاص بن أمية . وقد جاء فى أنساب الأشراف ١٤١/١ « وكان أبو أحيحة سعيد بن العاص بن أمية يقول : دعوا محمداً ولا تعرضوا له . فإن كان ما يقول حقاً ، كان فينا دون غيرنا من قريش ، وإن كان كاذباً ، قامت قريش به دونكم . فكان النبي صلى الله عليه وسلم يمر به . فيقول : إنه ليكلم من السماء ، حتى أتاه النضر بن الحارث . فقال له ، إنه بلغنى أنك تحسن القول فى محمد . وكيف ذلك وهو يسب الآلهة ، ويزعم أن آباءنا فى النار ، ويتوعد من لم يتبعه بالعذاب ؟ فأظهر أبو أحيحة عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذمه ، وعيب ما جاء به ، وجعل يقول : ماسمعنا بمثل ماجاء به لا فى يهودية ولا نصرانية .

=

(٣) فقد حَرُمت على من كان يمشي بمكة غير مُدَّخَل[1] سقيم
(٤) وكان البَخترى[2] غداة جَمْعٍ يدافعهم بلقمان الحكيم

= وكان أبو أحيحة ذا شرف بمكة . وقويت أنفس للشركين حين رجع عن قوله الأول ، وأتاه النضر شاكراً له على ذلك ، لاعظام قريش إياه . . . . ومات أبو أحيحة فى ماله بالطائف سنة اثنتين من الهجرة ، ويقال : فى أول سنة من الهجرة . وكان له تسعون سنة . . . » .

(٢) البلاذرى « وكان إذا اعتم لم يعتم أحد بعمامة على لون عمامته إعظاماً له . فكان يدعى « ذا التاج » . وجاء فى البيان ٣/٩٨ « وكان أبو أحيحة ، سعيد ابن العاص ، إذا اعتم لم يعتم معه أحد ، هكذا فى الشعر ، ولعل ذلك أن يكون مقصوراً فى بنى عبد شمس » . والعصابة بالكسر : ما عصب به كالعصاب والعمامة . البلاذرى « العمامة » .

(١) المدخل : الدعى الذى يدخل فى القوم . البلاذرى « غير ذى دنف سقيم »

(٢) البخترى : فى اللغة : الحسن الشىء والجسم . وقيل : المختال المعجب بنفسه . وبخترى : اسم رجل . أنظر التاج . وفى السيرة ١/٣٧٥ فى حديث نقض الصحيفة ذكر للبخترى بن هشام . وجمع ، بلا لام : المزدلفة . ويوم جمع : يوم عرفة . وأيام جمع : أيام منى . والشاعر ينعت الممدوح هنا بالفصاحة والبيان . وجاء فى البيان « عبد السلام هارون » ١/٣٦٥ « ومن القدماء من كان يذكر بالقدر والرياسة والبيان والخطابة والحكمة والدهاء والنكراء » (الفطنة) لقمان بن عاد ولقيم بن لقمان . . . . . « وحينما كان النبي صلى الله عليه وسلم بمكة يعرض نفسه على القبائل قدم سويد بن الصامت الأوسى مكة حاجاً أو معتمراً « فتصدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به ، فدعاه إلى الله وإلى الإسلام ، فقال له سويد : فلعل الذى معك مثل الذى معى : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما الذى معك ؟ قال : مجلة لقمان – يعنى حكمة لقمان – فقل له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعرضها على ، فعرضها عليه : فقال له : أن هذا لكلام حسن : والذى معى أفضل من هذا ، قرآن أنزله الله علىّ ، هو هُدًى ونور . . . » .



(٥) بأزْهَرَ(١) من سُراة بنى لُؤىٍّ
كبدر الليل راق على النجوم

(٦) هو البيت الذى بنيت عليه قريش السر(٢) فى الزمن القديم

(٧) وسطت ذوائب(٣) الفرعين منها
فأنت لباب سرهم الصميم

(*)

(١) ومن صُنعه يومَ فيل الحبو ش إذ كلَّما بعثوه رَزَم(٤)

(٢) محاجِنُهم(٥) تحت أقرابه وقد شرّموا أنفه فانخرم

---

(١) الأزهر من الرجال : النير والمشرق الوجه . وسراة كل شىء : أعلاه . وراق عليه : زاد عليه فضلا . البلاذرى « كريم من سراة » .

(٢) السر : محض النسب وأفضله . رواية البلاذرى :

وتينكم رفيع فى قريش منيفٌ فى الحديث وفى القديم

(٣) الذؤابة : الناصية ، وهى شعر فى مقدم الرأس . وذؤابة كل شىء أعلاه ، منه : هو ذؤابة قومه ، أى المتقدم فيهم . وقد يكون المراد بالفرعين قريش البطاح وقريش الظواهر وقد يكون المراد فرعين ممتازين من قريش البطاح وأنهما يتكونان من ذوائب يعتبر البيت الذى منه الممدوح واسطة العقد . وفرع كل شىء : أعلاه .

الرواية بتحقيق السندوبى « منهم » .

(*) السيرة ١/٨٥ (١ — ٦) وقد نسبها لابن الأسلت وأضاف » والقصيدة أيضاً تروى لأمية بن أبى الصلت » وابن كثير السيرة ١/٣٩ (١ — ٦) والحيوان ٧/١٩٦ (١ — ٣ ، ٥ ، واللسان (شرم) (٢) .

(٤) رزم : ثبت بمكانه فلم يبرحه .

(٥) المحاجن ، جمع محجن ، وهى عصا معوجة . والإقراب ، جمع قرب ، أو قرب وهو الخصر . وشرموا : شقوا . الجاحظ « وقد كلموا » وابن منظور « تحت أقرابهم وقد شرموا جلده فانشرم » .



(٣) وقد جعلوا سوطه مِغْوَلاً[1] إذا يمّموه قفــاه كَلِم
(٤) فولَّى وأدبر أَدْراجَــه وقد باء بالظلم من كان ثَم
(٥) فأرسل من فوقهم حاصبًا فلفهــم مثل لف القُزُم[2]
(٦) تحض على الصبر أحبــارهم وقد ثأجوا[3] كثُؤاج الغنم

(*)

(١) ألا من مُبْلِغٌ حسّان[4] عنى أَطِبٌّ كان داؤك أم جنونُ

(* *)

(١) وأحرزنا المغـانم واستبحنا حِمى الأعداء والله المعـينُ
(٢) بغير خِلابة مكر (ولكن)[5] مجاهرة ولم يَخْبَأْ كَمــــين

(* * *)[6]

---

(١) المغول : سكين كبيرة . الجاحظ « معولا » وهى الرواية الأخرى لابن هشام .

(٢) القزم : جمع قزم ، وهو الصغير الجثة . الجاحظ « يلفهم » .

(٣) ثأج : صاح .

(*) اللسان والتاج (طبب) والجمهرة ١/٣٤ والكتاب ٢٥ .

(٤) الراجح أنه يريد حسان بن ثابت الخزرجى . والطب : السحر . الكتاب « أسحر كان طبك » .

(* *) البيان ٣/٢٣ .

(٥) ( ) ليست بالأصل . وفى تحقيق السندوبى ٣/٢٠ « وبغير مكر » . والخلابة ، بالكسر : الخديعة .

(* * *) السيرة ١/٥٥٦ .

(٦) السيرة « وكان يوم بعاث يوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرج ، وكان =



(١) على أن قد فُجِعت بذى حِفاظٍ[١] فعاودنى له حُزْنٌ رصـين

(٢) فإمّا تقتلوه فإنّ عَمْـروا أَعَضّ برأسه عضب[٢] سنين

(*)

(١) غراس[٣] كالفتائن مُعْرَضاتٌ على آبارها أبدًا عُطون

= الظفر فيه يومئذ للأوس على الخزرج ، وكان على الأوس يومئذ حضير ابن سماك الأشهلى أبو أسيد بن حضير وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البيـاضى ، فقتلا جميعاً » .

(١) الحفاظ والمحافظة : الذب عن المحارم والمنع لها عند الحروب والإسم الحفيظة .

(٢) العضب : السيف الحديد . و « ابن هشام : سنين مسنون ، من سنه إذا شحذه » .

(*) اللسان والتاج (فتن) .

(٣) غراس بالـكسر ، جمع غريسة ، وهى الفسيلة ساعة توضع فى الأرض حتى تعلق . اللســان . والفتائن : الحرار السود . وكأن واحدة الفتائن فتينة . وقال شمر : كل ما غيرته النار عن حاله فهو مفتون ، ويقال للأمة السوداء مفتونة لأنها كالحرة فى السواد كأنها أرض محترقة . اللســان . وأرض معرضة : يستعرضها المال ويعترضها أى فيها نبات يرعاه المال إذا مر فيها . القاموس . والعطون والعواطن : الإبل تروى ثم تبرك عند الحوض ـ اللسان .

ويخيل إلى أن هذه الأبيات الستة المتوالية أساساً من قصيدة واحدة . ووجود لفظ حسان الذى رجحنا أنه ابن ثابت ووجود قصيدة فى ديوان حسان ص ٢٥٥ فى نفس الوزن والقافية والتى يخاطب فى مطلعها أبا قيس بن الأسلت :

ألا أبلغ أبا قيس رسولا إذا ألقى لهـا سمعاً تُبين

كل ذلك قد يكفى دليلا على أن قصيدة ابن الأسلت كانت نقيضة . ومعروف أن شعر النقائض كان مزدهراً فى يثرب فى العصر الجاهلى .



خاتمـــــة

فى الصفحات السابقة حاولنا تمييز شعر ابن الأسلت الصحيح من غيره معتمدين على معرفة الفترة التى انتهت عندها حياته واتخاذ المفضلية الخامسة والسبعين مقياساً لشعره . وانتهينا إلى أنَّ قليلا من الشعر هو الذى صح له . وقد درسنا هذا الشعر الصحيح ووقفنا عند شخصيته والناقة والغزل والبيئة والمدح والفخر الجماعى والأسلوب . ثم كان الديوان الذى يتضمن كل الشعر الذى نسب لشاعرنا مرتباً مشروحاً ما أمكن ، متضمناً كل ما يظن أنه يخدم ذلك الشعر . أسأل الله عز وجل التوفيق والسداد إنه سميع مجيب .

فهرست بالمصادر والمراجع

ابن الأثير : (علىّ بن محمد) ، الكامل فى التاريخ ، بولاق ١٢٩٠ هـ وليدن ١٨٦٩ م وبيروت ١٣٨٥ هـ ١٩٦٥ م .

ابن حجر : (أحمد بن على العسقلانى) الإصابة فى تمييز الصحابة كلكتة ١٨٥٦ — ٨٨ م ومصر . المكتبة التجارية ١٣٥٨ هـ ١٩٣٩ م .

ابن حزم : (أبو محمد ، على بن سعيد بن حزم الأندلسى) جمهرة أنساب العرب . تحقيق وتعليق إ. ليفى بروفنسال ذخائر العرب (٢) ١٩٤٨ .

ابن الخطيم : (قيس بن الخطيم) ديوانه . تحقيق وتعليق د . ناصر الدين الأسد . الطبعة الأولى ١٣٨١ هـ — ١٩٦٢ م .

ابن دُرَيْد : (محمد بن الحسن بن دريد الأزدى البصرى) جمهرة اللغة الطبعة الأولى . حيدر آباد ١٣٤٤ هـ ـ ١٣٤٥ .

ابن سعد : (محمد بن سعد الزهرى) الطبقات الكبرى ، القاهرة ، ١٣٥٨ هـ ١٩٣٩ م .

ابن السِّكِّيت : (أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكيت) تهذيب الألفاظ المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ١٨٩٥ بيروت .

ابن سلام : (محمد بن سلام الجمحى) طبقات فحول الشعراء ، بتحقيق وتعليق محمود محمد شاكر . ذخائر العرب (٧) .

ابن عبد البر : (يوسف بن عبد الله) الإستيعاب فى معرفة الأصحاب ، تحقيق على محمد البجاوى ، القاهرة ، ١٩٥٨ .



ابن عبد ربه : (أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى) العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبيارى، القاهرة، ١٣٥٩ هـ ١٩٤٠ م — ١٣٦٨ هـ ١٩٤٩ م.

ابن عساكر : على بن الحسن بن عساكر) التاريخ الكبير، دمشق ١٣٢٩ — ٣٢ و ١٣٥٠ هـ ١٩١١ — ١٤ و ٣١ م.

ابن قتيبة : (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى) عيون الأخبار، دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٣٤٣ هـ ١٩٢٥ م ١٣٤٩ هـ - ١٩٣٠م المعانى الكبير حيدر آباد، الطبعة الأولى سنة ١٣٦٨ هـ ١٩٤٩ م.

ابن كثير : (إسماعيل بن عمر) ،السيرة النبوية، تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، عيسى البابى الحلبى، القاهرة، ١٩٦٤ م.

ابن منظور : (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقى المصرى) لسان العرب. بيروت ١٩٥٥ م ١٣٧٥ هـ.

ابن هشام : السيرة النبوية. تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الأبيارى، عبد الحفيظ شابى. عيسى البابى الحلبى ١٣٧٥ هـ ١٩٥٥ م.

أبو تمام : شرح ديوان الحماسة للمرزوقى. تحقيق أحمد أمين، وعبد السلام هارون. القاهرة. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٧١ هـ — ١٩٥١ م.

أبو الفرج : (على بن الحسين الأصفهانى) الأغانى، بولاق ١٢٨٤ هـ ودار الكتب المصرية ١٩٢٧ . . . ودار المعارف ١٩٥٩ نشر دار الثقافة بيروت.

أحيحة : (أحيحة بن الجُلاح الأوْسِىّ الجاهلى) ديوانه. دراسة وجمع وتحقيق د. حسن محمد باجوده. تحت الطبع.



الأصمعى : (أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك) الأصمعيات ، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر ١٣٧٥ هـ ١٩٥٥ ، النخل والكرم . سعى بنشره وجمع رواياته . أوغست هَفْنِر ، بيروت ١٩٠٨ .

الأنصارى : (عبد القدوس) آثار المدينة المنورة ، دمشق ١٣٥٣ هـ ١٩٣٥ م .

البحترى : (أبو عبادة) الحماسة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٣٩ .

البغدادى : (عبد القادر بن عمر) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب القاهرة ١٣٤٨ هـ ١٣٥١ م .

البكرى : (أبو عبيد ، عبد الله بن عبد العزيز البكرى الأندلسى) سمط اللآلى ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٤ ، ١٩٣٦ م .

البلاذُرى : (أحمد بن يحيى) أنساب الأشراف تحقيق د . محمد حميد الله ، ذخائر العرب ٢٧ .

الجاحظ : (أبو عثمان عمرو بن بحر) البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة ١٩٤٨ — ١٩٥٠ الحيوان تحقيق عبد السلام هارون ، البابى الحلبى ، ١٩٣٨ ـ ٤٧ ومصر ١٣٧٩ هـ ١٩٥٩ م .

الجرجانى : (عبد القاهر) أسرار البلاغة ، تحقيق هـ . ريتر . استنبول ١٩٥٤ م .



الجواليقى : (أبو منصور ، موهوب بن أحمد الجواليقى) شرح أدب الكاتب ، القاهرة ١٣٥٠ هـ .

الجوهرى : (إسماعيل بن حماد) تاج اللغة وصحاح العربية . المعروف بصحاح اللغة ، بولاق ١٢٨٢ — ١٨٦٥ م .

حسان : (ابن ثابت الخزرجى) ديوانه ، بيروت ١٣٨١ هـ ١٩٦١ م .

الخالديان : (أبو بكر محمد الخالدي وأبو عثمان سعيد الخالدى) الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين ، تحقيق محمد يوسف ١٩٥٨ .

الراغب : (أبو القاسم حسين بن محمد الراغب الأصبهانى) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء بيروت ١٩٦١ م .

الزبيدى : (محمد المرتضى الحسينى الواسطى) تاج العروس من جواهر القاموس . الطبعة الأولى مصر سنة ١٣٠٦ ـ ١٣٠٧ هـ .

الزبير : (ابن بكار) جمهرة نسب قريش وأخبارها تحقيق وشرح محمود محمد شاكر . بيروت ١٩٦٦ م .

الزجّاجى : (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجى) مجالس العلماء تحقيق عبد السلام هارون ، الكويت ١٩٦٢ م

الزمخشرى : (جار الله أبو القاسم محمود بن عمر) أساس البلاغة ، دار الكتب ، القاهرة ١٣٤١ هـ ١٩٢٢ م .

السهيلى : (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبى الحسن الخثعمى) الروض الأُنُف . مصر سنة ١٣٣٢ هـ ١٩١٤ م .

سيبويه : الكتاب كلكته ١٨٨٧ م .



العسكرى : (أبو هلال ، الحسن بن عبد الله بن سهل العسكرى) ديوان المعانى ، القاهرة ١٣٥٢هـ . الصناعتين ، تحقيق على محمد البجاوى ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، البابى الحلبى ، الطبعة الأولى ١٣٧١ ، ١٩٥٢ م .

الفيروزابادى : (مجد الدين) القاموس المحيط مصر .

القالى : (أبو على ، إسماعيل بن القاسم القالى البغدادى) الأمالى ، بولاق ١٣٢٤ هـ .

القرشى : (أبو زيد محمد بن أبى الخطاب القرشى) جمهرة أشعار العرب ، الطبعة الأولى ، بولاق ، ١٣٠٨ هـ .

القَلْقَشَنْدى : (أحمد بن عبدالله القلقشندى) صبح الأعشى ، المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٣٣١ هـ ١٩١٣ م .

كشاجم : (أبو الفتح محمود بن الحسن) المصايد والمطارد ، تحقيق د . محمد أسعد طلس ١٩٥٤ بغداد .

المرزبانى : (أبو عبيد الله ، محمد بن عمران المرزبانى) معجم الشعراء ، القاهرة ١٣٥٤ هـ نور القبس ، المختصر من المقتبس فى أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء القسم الأول تحقيق رودلف زلهايم ١٩٦٤ م .

المرزوقى : (أبو على ، أحمد بن محمد الأصفهانى) الأزمنة والأمكنة ، الهند ، حيدر آباد سنة ١٣٣٢ هـ .

المعرى : (أبو العلاء) شرح لزوم ما لا يلزم . الجزء الأول . تأليف . طه حسين وإبراهيم الأبيارى ذخائر العرب (١٣) .

المفضـــل : (المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر بن سالم الضبي الـكوفى) المفضليات ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السـلام هارون . الطبعة الثانية ١٣٧١ هـ ١٩٥٢ دار المعارف بمصر .

الميدانى : (أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميدانى النيسابورى) مجمع الأمثال . بولاق ١٢٨٤ هـ وبتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر ١٣٧٩ هـ ١٩٥٩ م .

الهمدانى : (أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود الهمدانى) صفة جزيرة العرب . تحقيق محمـد بن عبد الله بن بليهد النجدى مصر ١٩٥٣ م .

ياقوت : (ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى) معجم البلدان . القاهرة ١٩٠٦ — ١٩٠٧ وبيروت ١٣٧٦ ، ١٩٥٧ م .

مطبعة السنة المحمدية
١٧ شارع شريف باشا الكبير ـ عابدين
ت ٩٠٦٠١٧

رقم إيداع دار الكتب
١٥٦٦ لسنة ١٩٧٣